

روایات عبیر



معارفیت روم

# رجل من نثار

مخالب

www.mlazma.com





## رجل من نساء

من أجل سعادة عمته واستقرارها قررت تينا أن تخوض مغامرة كان مجرد التفكير فيها يرهبها : الاشتراك في بعثة ذاهبة إلى ادغال الامازون منتحلة اسم عمته وصفتها ، وعمتها عالمة نباتات شهيرة .

وعانت تينا الكثير في هذه الرحلة المحقوفة بالاعطاش لاسيما انها غريبة وسط هذه المجموعة من علماء وباحثين تألف منهم الفريق الذي يقوده رجل غريب الاطوار يدعى رامون فيغاس المعروف بـ «الرجل الناري» بسبب مزاجه الصعب وعناده وقسوته وتعاليه .

وخلال الايام الطويلة التي امضتها تينا في ادغال الامازون بين الوحوش المفترسة والحشرات السامة والقبيلة الاقرب الى الحيوان منها الى الانسان ، استطاعت ان تحقق عدة مكاسب .

فماذا حققت تينا وكيف انتهت العلاقة المتوترة بينها وبين رامون فيغاس وما هي المفاجأة التي أعدتها لعمتها ؟

السودان ٧٠٠	البحرين ٨٠	الكويت ٧٠٠	لبنان ٦٠٠
UK £ 1	تونس ١٠	الامارات ٩٠	سورية ٨٠٠
France F 10	ليبيا ٧٠٠	البحرين ٩٠٠	الأردن ٥٠٠
Greece Drs 120	الغرب ٨٠	قطر ٩٠	العراق ٥٠٠
Cyprus P 1	مصر ٧٠٠	عمان ٩٠٠	السعودية ٨٠



العنوان الاصلي هذه الرواية بالانكليزية

MAN OF FIRE

## ١ - العمة كريس

ترنحت تينا دونيللي تحت ثقل المشتريات التي تحملها،  
وأغلقت وراءها الباب قبل أن تلقي بالرزم العديدة على أحد  
المقاعد القريبة.

وتنهدت وهي تحمد الله لأن عمته كريس أصرت على عدم  
الانتقال الى هذا البيت الجديد الا بعدما تأكدت من تركيب  
التدفئة المركزية فيه. وبدأ الدفء يذيب الجليد الذي علق  
بشمعها الذهبي المائل الى الاحمرار، والذي أبى أن يستقر  
تحت قبعته المصنوعة من الفراء. مرة أخرى، ألقت نظرة  
على مشترياتها قبل أن تحملها وتسرع بها الى المطبخ، لتعد  
الغداء لها ولعمتها.

وأخذت تنرم بقطعة موسيقية وهي تقوم بعملها، فهي  
تحب منزلها المريح، وتشعر بالاعجاب والتقدير لهذه الآلات  
الحديثة التي توفر عليها الوقت... وبالسلم والراحة وسط  
هذا الديكور الرائع الذي يحيط بها. وقبل أن تنتقلا الى هذا  
المنزل، تركت لها عمته حرية الاختيار لتنظيم المطبخ  
بالطريقة التي تعجبها، بينما انهمكت هي في رسم وتنفيذ  
الديكور لما تبقى من غرف البيت، الذي يتكون من غرفة  
جلوس كبيرة، وغرفتي نوم.

© Margaret Rome 1970

© 1982 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف لما رغريت روم  
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة  
لهارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات :

Harlequin (Cyprus) Ltd.  
29 Michalakopoulou St.  
Athens T.T. 612, Greece.

Printed in Great Britain by  
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk



وغرقت تينا في أكوام الكتب والاعلانات الخاصة بأدوات المطبخ، حتى إذا انتهت وعمتها من تأثيث البيت، كانت كل منهما معجبة تماماً بالمجهود المبذول.

أجالت تينا بصرها في غرفة الجلوس التي تغير شكلها بعدما غطيت أرضيتها بسجادة خضراء بلون الغابات زينتها عمتها في الوسط بجلد نمر وصاحت مبهورة:

"صدقيني يا عمتي لو لم تكوني متعلقة بوظيفتك، لتمكنت من جمع ثروة ضخمة من تصميم الديكورات. لقد أحسنت عرض كنوزك وتحقق بطريقة رائعة!"

وابتسمت عمتها سعيدة بهذا الاطراء، بينما أخذت تينا تشير الى التحف الغريبة التي أحضرتها عمتها كريس دونيللي من البعثات المتكررة التي اشتركت فيها. هذان شمعدانان من النحاس الأصفر، تحولاً ببراعة الى مصباحين حديثين غاية في الروعة على منضدة صغيرة من الخشب الهندي تجتمعت تحتها في تنظيم دقيق مجموعة عناقيد كريستال وقواقع دقيقة غريبة، اكتشفتها العمة في جزيرة من جزر المرجان في البحار الجنوبية.

وعلى أحد الجدران علفت مرآة في إطار ذهبي، تعكس صورة لأحد المساجد، وعلى الحائط الآخر بعض اللوحات المرسومة بيد مشاهير الفنانين، وبعض التماثيل الدقيقة - وكلها من البرازيل - توزعت بطريقة فنية تنعكس عليها الأصواء التي تدخل من النوافذ الطويلة المكسوة بالمخمل، والتي تنسدل عليها ستائر من حرير تايلاند. وفي فجوة في الجدار وضعت تمثالاً نصفياً من الخشب أحضرته من النمسا، الى جوار شجرة على شكل تنين من الوبر المنقوش مثبتة الى نموذج مصغر لأحدى قدور ساحرات الغابات.

غرفة مثيرة، غريبة، لكنها تعبر في حق عن شخصية هذه المرأة التي صممتها، والتي تعيش حياة تتبدل باستمرار.

كانت كريس دونيللي معجبة جداً بنجاح ابنة أخيها في تصميم المطبخ وتنظيمه عكس تينا التي لم تعجب به للوهلة الأولى، لكنها عادت ووجدت أن أرضيته الرخامية البيضاء تتلاءم مع هذا القرميد الذي يكسو الجدار فوق الحوض، وأن صف القدور النحاسية، وفرن الطهي الذي تعلوه أيضاً قبة من النحاس أضيا لمسة جمال معيزة على الغرفة.

لكن، وبعد مرور ستة أشهر على انتقال المرأتين الى المنزل، انتهت بهجة الاثارة التي نتجت عن هذا التغيير الجديد، وأصبحت المناظر مألوفة وعادية. لاحظت تينا بدء دلائل العبرة التي تصيب كريس كلما حثتها ساقاها على الرحيل، ابتسمت وهي تضع طبقين على المائدة، ففي كل مرة كانت عمتها توتجف وهي تحدثها بخجل عن مشروع رحلتها المقبلة، لكن تينا كانت تقابل كلماتها بمهممات الاعجاب، لدرجة أن كريس لم تتصور أبداً أن الحديث لم يكن مفاجأة لها، ولم يخطر لها أنه خلال أسابيع القلق التي كانت تعاني فيها من تأنيب الضمير لتركها ابنة شقيقها الصغرى وحيدة في لندن، بينما هي تتجول في غابات افريقيا، أو تتسلق جبلا في البيرو، تكون تينا في تلك الفترة تعد لها معدات الرحلة لتؤكد من أن كل ما تحتاجه في رحلتها سيكون جاهزاً في لحظة الاعتراف، التي تأتي غالباً قبل أيام قليلة من موعد الرحيل. تينا تعرفها جيداً لدرجة أنها تتوقع تحركاتها قبل حدوثها بأسابيع، بل ربما قبل أن تكون كريس نفسها اتخذت قرارها النهائي بعداً.

وبالفعل، كانت تينا تعرفها جيداً... تعرفها وتحبها،



بل أنها فخورة بهذه العمة النحيلة الرقيقة، التي ما زالت تحتفظ بشبابها كاملاً، برغم اقترابها من الأربعين، والتي استطاعت بكفاءتها العظيمة أن تحتل مكانة عالية في ميدان علم النبات، بعدما تخصصت في اكتشاف النباتات الغريبة في الأماكن البعيدة والمجهولة من بقاع العالم. وكريس تعمل حالياً في حدائق كيو الملكية، وتشارك في بعثات علمية إلى أماكن خطيرة وصعبة، متحدية الأخطار، بحثاً عن نبات جديد تكتشفه، أو تضيفه إلى المجموعة النادرة في كيو.

وكانت تينا المساعدة الأولى لها في العمل، لكنها كانت - على عكسها - تحب الاستقرار وتكره السفر. واستطاعت عمته أن تحسن تدريبها، وتعليمها كل ما اكتسبته من خبرة، حتى بدأت تينا تثير الإعجاب في محيط العمل، وتشق طريقها في الدوائر العلمية الكبرى.

تركت تينا المطبخ، وألقت نظرة فاحصة على غرفة الجلوس المريحة الدافئة، قبل أن تعبر الغرفة إلى الفايضة لتلقي نظرة إلى الخارج، محاولة اختراق برودة تلك الليلة من ليالي شهر مارس (آذار). رأت الباحات المضيئة تزدهم بركاب يرتدون الملابس الثقيلة، ورأت تينا أيضاً رذاذ المياه القذرة التي نثرتها السيارات المسرعة على ملابس سيئي الحظ من المساكين العائدين سيرا على الأقدام إلى منازلهم. ألقت نظرة سريعة على ساعتها، وبدأ عليها القلق. فكثيراً ما تدعى عمته إلى الاشتراك في لجنة من لجان العمل في اللحظة الأخيرة قبل عودتها، لكنها اعتادت أن تتصل بها لتنبئها بنأخرها عن موعد العشاء. ولم يكن من عادة تينا أن تعود مع عمته إلى المنزل، بل كانت تسبقها دائماً بنحو ساعة

حتى تتمكن من اعداد طعام العشاء. وعندما وصلت إلى كيو هذا الصباح، استدعى الرئيس كريس لمقابلته، وكانت هي المرة الأخيرة التي رأتها فيها اليوم. وقطبت حاجبها. فكريس دونيللي تستطيع أن تتسلق الجبال، وتصطاد الوحوش، وتواجه المجهول في الأراضي التي لم تكتشف بعد، لكنها تصبح طفلة عاجزة في خضم حركة المرور في شوارع لندن. عضت تينا شفتيها وهي تتذكر حيرة عمته وترددها لدى عبور الطرق المزدحمة. مدت يدها إلى الهاتف، وقبل أن ترفع الساعة، مزق رنينه المفاجيء سكوت الغرفة. ردت بنهضة:

"هالو. هنا تينا دونيللي."

"تينا."

وعرفت الصوت على الفور، صوت رجل واثق النبرات انه الدكتور اليكس ماكسويل صديق عمته. وسألته بسرعة: "اليكس. هل تعرف أين عمتي كريس؟ أنا قلقة عليها. تأخرت عن موعدها، وأنت تعرف خوفها من حركة المرور!" أجاب اليكس ماكسويل غاضباً:

"طبعاً أعرف. حاولت مراراً أن أحذرها لكنها تضحك دائماً من حرصي على سلامتها، ولعلها تعترف الآن بأنني كنت على صواب!"

وصاحت تينا بصوت قلق:

"لعلها تعرف الآن؟ اليكس ماذا تقصد؟ هل تحاول أن تخبرني أن عمتي أصابها مكروه؟"

وأجاب بسرعة محاولاً تهدئتها:

"اطمئني. لا داعي للقلق. انه حادث بسيط. صدمتها سيارة على باب المستشفى تقريبا، ومن حسن الحظ أنني كنت في هناوتني. طبيب الطوارئ يعرف أنها صديقتي، فأتصل



بي وأخبرني ..

صاحت تينا بخوف:

أرجوك أخبرني ماذا حدث بالضبط، وما مدى أصابتها؟

قاطعها أليكس بصوت نافذ الصبر:

كسرت يدها، ولكن حظها من السماء، على هذه المرأة أن تجد شخصا يعتني بها ويحميها من نفسها، وعليه أولا أن يحطم عنادها!

وابتسمت تينا برغم اضطرابها عندما شعرت بالغضب والقلق في صوت أليكس، عرفت منذ سنوات أنه يحب عمته، لكن كريس كانت تعلن دائما أنه ليس من العدل أن يتزوج رجلا سيجد نفسه وحيدا بعد فترة وجيزة من الحياة المشتركة، فهي امرأة مستقلة ترفض التقيد بالزوج والبيت، وشعرت تينا بالعطف عليه، وقالت مؤكدة:

أعرف ما تشعر به يا أليكس، وأنا أوافقك على طول الخط، ربما في يوم ما، وإذا لم تنعب من الانتظار، تشعر كريس أنك على حق، لكنها الآن في حاجة إلى الراحة والهدوء، هل أستطيع أن أحضر إلى المستشفى لأعود بها، أم أن الصدمة شديدة عليها، وإن تستطيع الحركة؟

وانتظرت الرد بقلق، فبالرغم من أن إصابة عمته خفيفة كما يقول، إلا أنها لا تطيق أن تراها ملقاة جريحة ووحيدة في المستشفى!

زحجر الدكتور أليكس قائلا:

صدمة... راحة... هدوء؟ حولت المستشفى إلى دار للمجانين خلال الوقت القليل الذي مكثت فيه هناك، اقترحت عليها أن تبقى ليلة تحت المراقبة، لكن زئيرها المتواصل كان كافيا ليقنعني بضرورة عودتها إلى البيت، من أجل

راحة المرضى الآخرين ..

وتنهت وهو يواصل كلامه:

عمتك، يا عزيزتي امرأة في غاية العناد ..

وضحكت تينا ضحكة ناعمة، وواصل كلامه بعد قليل منهايا الحديث:

تينا، سنصل إليك بعد ربع ساعة، انتهت فترة عملي الآن، سأحضر عمتك معي في سيارتي إلى المنزل .. شكرته بحرارة، وأكدت له قبل أن ينهي المكالمة أنه سيجد عشاء فائرا في انتظاره.

\*\*\*

كان الثلاثة يجلسون في استرخاء، بعد عشاء شهي، في غرفة الجلوس المريحة، يحتسون القهوة، بدت كريس شاحبة اللون لكنها محتفظة بحيويتها التامة، جلست تينا إلى جوارها على الأريكة البنية، وأمامها أليكس على مقعد وثير، وعلى شفتيه ابتسامة رجل يشعر بالاكتماء بعد عشاء فائز، أخذ ينظر إليهما في كسل من فوق حافة نظارته، وما لبث أن قال:

تري هل لاحظتما الشبه الشديد بينكما؟ من يراكما يعتقد أنكما توأمان! فضحكت كريس وقالت:

هذه كلمات مؤثرة يا عزيزي، هل تعرف أنني أحب فيك هذه الشهامة! أنا جاد في قلبي، لكما البشرية الصافية ذاتها، ولون



الشعر الأحمر الذهبي الفريد ذاته، ورغم أنكما تصفانه بطريقة مختلفة، والعيون الخضراء غير العادية ذاتها، المنحرفة بجاذبية طاعية حتى الطول والقوام متطابقان تماماً!

وانتقل بعينيه من واحدة الى اخرى، ثم نظر، برقة، الى كريس وقال:

"الاختلاف الوحيد بينكما، يكمن في طبيعة كل منكما. تينا تبدو كطفل مشرق لحظة استيقاظه من النوم، أما أنت يا عزيزتي فتجمعين كل انحاء الانثى الناضجة ونموضها."

زجرته كريس بحدة بعدما احمر وجه تينا خجلاً:

"كف عن هذه المداعبات يا اليكس. أخجلت الطفلة. اذا لم تنصرف بأدب فعليك بالعودة الى بيتك. هل نسيت أنني مريضة. كطبيب أنت تعرف جيداً ان عليك ألا تضايقني!"

تبادل اليكس وتينا النظرات، وأحرقا في الضحك. فمئذ ساعة واحدة، ثارت كريس لأن تينا تجرات وطلبت منها الاستكانة والراحة، فأصرت أنها ليست مريضة، ولا تشعر حتى بأن ذراعها كسرت، ورفضت بشدة أن تعامل معاملة المرضى.

احمر وجه كريس خجلاً لما تعنيه ضحكاتهما وحاولت أن تجد مخرجاً من هذا المأرق فقالت:

"في أي حال هناك أمور يجب أن نناقشها. لقد غير الحادث خططي تماماً!"

ونظرت اليهما لتؤكد من اصفائهما وأضافت:

"بحق السماء، كيف يمكن أن أرحل بعد أسبوع الى الأمازون بهذه اليد المكسورة؟

وخيم صمت مفاجيء بعد هذا السؤال. ثم، صرخ اليكس، وتينا في وقت واحد:

"ولكن... هذا مستحيل!"

زمجر اليكس، ورددت تينا:

"الأمازون... كريس؟"

شعرت كريس بالسرور للأثر الذي أحدثته، وقالت:

"إنها آخر رحلة عظيمة على الأرض، وقد وقع علي الاختيار لآشترك فيها!"

وقبل أن يلتقط أحدهما أنفاسه ليقاطعها، واصلت كلامها بحماسة:

"أحدى الصحف اليومية الكبرى تمويل رحلة الى نهري النيفرو، وأورينوكو لتختبر السفينة الطائرة في تلك البقاع. ويضم المشروع بعض الجغرافيين والعصوريين، وأحد علماء الطبيعة والنبات. كاذ يغصني علي من الانفعال عندما عرضوا علي هذه الفرصة. تصوروا رحلة طولها ألفا ميل في أرض لم يطأها رجل أبش حتى الآن فضلاً عن أنواع من النباتات الغريبة ستجمعها. ثم أفسدت كل هذا بكسر ذراعي."

ونظرت باحتقار الى الضمادة التي تربط بها ذراعها، قبل أن تتجه الى اليكس وتسأله بصوت ضعيف، بحثاً عن بصيص من الأمل:

"هل هناك أي احتمال في ان استطيع القيام بهذه الرحلة؟" وإذا كانت تينا شعرت في وقت من الأوقات بأي شك في مشاعر اليكس تجاه كريس، فقد تبدد تماماً وهي تنظر إلي وجهه الهادي. لتري تأثير كلمات عمتها عليه. ورأت الغضب يتصارع في نفسه مع العطف، قبل ان يجيب بحزم مغلف بقلق حقيقي:

"لا أمل يا كريس... لا أمل!"

وكانت كريس تعرف هذه الاجابة مسبقاً، لكنها



كانت تبحث عن شعاع أمل، فظلت وجهها الجميل سحابة من الحزن وخيبة الأمل عندما سمعت رده. رأى اليكس هذا، فأمتلا صوته بالحنان والعطف وقال مخففا عنها:

"كريس يا حبي لا تحزني، لا بد وأن تأتي فرص أخرى. هذه الرحلة التي تسعينها آخر رحلة عظيمة على الأرض، لا بد وأن تأتي أفضل منها خلال الأشهر المقبلة."

فقلت كريس بصوت ضعيف:

"ربما... ولكن لن يكون هناك القائد كارامورو، الرجل الذي تعنيت دائما أن أصبحه في إحدى رحلاته. وما هي الفرصة تهرب مني بعدما حصلت عليها؟"

وصاح اليكس في دهشة:

"ومن هو كارامورو هذا؟"

انحنيت كريس إلى الامام، وتحدثت بصوت أذهل تينا. كانت نيرانها تحمل من الاحترام والتقدير، ما لم تتصور تينا أن تحمله كريس لأي رجل في العالم. قالت:

"إنه السنيور رامون فيغاس، برازيلي من أصل إسباني وله خبرة واسعة في ميدان اكتشاف الغابات، كما أنه أكثر الرجال جرأة في قيادة البعثات في الأدغال، ومن الأشخاص المصروفين في العالم. كانت عائلته واحدة من أولى العائلات الإسبانية التي استقرت في البرازيل منذ أجيال عديدة."

اكتسب أكثر معلوماته عن الأدغال من أبيه الذي كان مستكشفا شهيرا هو الآخر. وأعتقد أن رامون انصرف إلى شؤون أسرته بعد وفاة والده. أصبح هو كبير العائلة، فندرت رحلاته، وهذه واحدة من الرحلات النادرة، وكم كنت أتوق للاشتراك فيها!"

ورد اليكس:

"يبدو أنه رجل عظيم حقا، ولكن هذا الكلام لا يفسر لنا حتى الآن معنى اسم كارامورو!"

وضحكت كريس وقالت:

"لا، إن له تفسيراً، فكلما كارامورو تصور شخصية رامون فيغاس أكثر من أي كلام أستطيع أن أصفه به، أطلق عليه سكان الأدغال اسم كارامورو، ومعناه الرجل الناري، أو رجل من نار. أنا أصدق تماماً ما تصفه به أساطير الوطنيين هناك. إن له بالفعل شخصية بركانية!"

وقاطعها اليكس:

"الآن... ربما كان من حسن الحظ أنك لن تشتركي في هذه الرحلة، فوجود اثنين بهذا الطبع الناري في مكان واحد مثير للتعجب، ولذلك يا قطني العزيزة، من الأفضل أن تمكثي في المنزل!"

ورمقته كريس بنظرة عنيفة غاضبة، ثم تنهدت يائسة وقالت:

"حسناً. كلما أسرع في الاتصال بالمدير لأخبره بما حدث، كان ذلك أفضل، لا شك في أنه سيصاب بخيبة أمل شديدة. لمست مع طوال اليوم نضع الخطوط النهائية لخطة البحث عن حقيقة الإشاعات التي تدور حول طبيب وطني يعالج الناس بالاعشاب في الأمازون، وقد نجح في شفاء الوطنيين من مرض النقرس بمرهم مستخرج من نبات مجهول. وكنت مكلفة بإحضار هذا النبات، لذا علي أن أسارع لإخباره بما حدث حتى يستطيع أن يجد شخصاً آخر يحل مكاني!"

وخيم عليهم سكوت عميق، فقد كانت كريس برغم كل شيء تشعر بالضيق والألم لفكرة نقل الحادث إلى السير هانيمان، عالم النبات الشهير الذي ساعدها في الوصول



الى مكانتها العلمية الحالية.

أما اليكس فقد صمت، تعبيراً عن تعسكه برأيه بعدم قدرتها على السفر، وإن كان ضيقه واكتئابه واضحين لاضطراره الى ارجاعها على البقاء في لندن. جلست تينا تنظر اليهما وهي تتمنى لو كان في امكانها أن تجد طريقة لمساعدة عمته.

وقبالة قطع اليكس الصمت. فسأل كريس:

"لماذا لا ترسلين تينا بدلا منك؟ انك تقولين دائما انها بارعة في عملها، وأنه لم يعد لديك ما تضيفينه الى معلوماتها. ستكون فرصة رائعة لها لاكتساب خبرة جديدة، حتى لو كانت غير قادرة على البحث عن أطباء الأعصاب." وكان رد فعل تينا محزناً، ارتعشت بخوف ظاهر، ونظرت الى عمته وقد اصفر وجهها، وانطقات لمعة عينيها، وربت كريس على يدها مطمئنة وقالت لاليكس بصوت هادي: "تينا لا تحب السفر بل انها تكرهه. لا أنصو أبداً أنه يمكنني أن اطلب منها الذهاب الى الأدغال. مجرد التفكير في شكل العنكبوت يجعلها مريضة."

ونظرت كريس الى جلد النمر في وسط الغرفة، وابتسمت وهي تمد ساقها لتضع قدمها على رأسه باطمئنان: "أعتقد بأنها ترمي جلد الحيوان هذا الى الخارج اذا تأكدت أن أحداً لن يراها. أليس كذلك يا عزيزتي؟"

قالت هذه الكلمات، وهي تنظر الى تينا بحب شديد. لكن هذه الأخيرة هبت واقفة، وقالت بصوت واضح الرعدة: "ساعد بعض القهوة."

واندفعت تحمل الصينية الى المطبخ!

وبعدما أغلقت الباب وراء خيالها النحيل، رفع اليكس

حاجبيه بدهشة، وكأنه يطلب مزيداً من الايضاح، فرفعت كريس يديها، وقالت بصوت يائس رداً على تساؤله الصامت: "أنا أيضاً لا أفهم، لابد أن يكون الأمر صلة بطفولتها غير العادية."

فقال اليكس وهو يبحث عن سيكارة:

"أخبريني بما تعرفين عنها؟"

"حسناً، أنت تعرف طبعاً أن والدها هو شقيقي دين. كان أحد علماء النبات الشهيرين، الى جانب حصوله على الزمالة من المعهد الملكي لعلوم النبات، وتوليه أرفع المناصب العلمية." هز اليكس رأسه موافقاً، بينما واصلت كريس كلامها:

"كانت زوجته مويرا ترافقه الى أي مكان يذهب اليه. كان يمر على ذلك، ولم تكن هي في حاجة الى تشجيع، كانت تحبه كثيراً. وعندما ولدت تينا اعتقدت بأن دين وزوجته سيتوقفان عن الترحال، ويستقران في منزل يجمعهما. أو على الأقل أن تبقى مويرا مع ابنتها، ويكتفي دين برحلات قصيرة يعود بعدها اليهما. ولكن لدهشتنا الشديدة لم يتغير شيء في طريقة حياتهما. وصارا يحملان الطفلة معهما الى أماكن غريبة وخطرة في كل انحاء العالم حتى بلغت السن التي يجب أن تذهب فيها الى المدرسة!"

وأطلق اليكس صيحة تعجب، بينما أومأت كريس برأسها مؤكدة ومواصلة كلامها:

"ومن الطبيعي أنها كانت تتلقى بعض المعلومات وثقافة عمية وهي تتجول معهما حول العالم. طبعاً لمتهما على اصطحابهما الدائم للطفلة، ولكنهما لم يريا أي غرابة في ذلك. وكانت اجابتهما على كل مناقشة واعتراض: "الأطفال يعيشون في كل مكان، وفي كل الأحوال والظروف وطفلتنا



في حماية كاملة.

وابتسمت كريس بمرارة واستطردت:

"وفعلا كانت الطفلة تعيش، بل وتنمو. وكانت طفلة جميلة وباسمة، سعيدة ومرحة. لكنها تحولت فجأة، وقبل أن تفترق عن والديها بقليل لتذهب الى المدرسة الداخلية الى شعب هادي. منطو. وحاولت بكل جهدي أن أجعل أيامها الدراسية سعيدة. كنت أزورها وأصطحبها معي كلما يسمح لها بالخروج. لكنني لم أستطع أن أحل مكان دين ومويرا، فقد كانت تتوق شوقا اليهما. ثم...."

وفجأة انخفض صوت كريس ليصبح همسا، وانقل اليكس الى جوارها، ووضع يده حول كتفيها. عرف الأفكار التي تزعجها حين رفع وجهها ورأى الدموع في عينيها. وفي صمت أخذ يحاول تهدئتها.

ثم قال:

"أعلم الباقي يا حبيبتي، لست في حاجة الى الاستمرار. توفي شقيقك وزوجته بالحمى في إحدى القرى الهندية. وهكذا أصبحت وحدك المسؤولة عن رعاية تينا."

تنهدت كريس، وتركت رأسها تميل على كتف اليكس العريضة فربت على رأسها بعنان وهمس:

"يا حبيبتي، لو كنت تسمحين لي برعايتك... برعايتكما معا. تينا الآن في العشرين من عمرها، امرأة تقريبا. فإني متي تعتقدين أنه علي الانتظار حتى توافقي على الزواج مني؟"

وفي اللحظة ذاتها، ودون أي صوت، دفعت تينا باب المطبخ خلفها حاملة صينية القهوة. رأت الرأسين المتقاربين، وتوقفت مكانها. كانت على وشك أن تسعل سعال خفيفة لتنبيهها الى وجودها، عندما سمعت عمتها تتكلم بحزن

يائس اضطرها الى الصمت والاستماع:

"اليكس... لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال، تينا في حاجة الي. انها متعلقة بحياتنا المشتركة، أنا وهي. انها تحب هذا البيت، ولا تحلم بالرحيل مثلي، أو مثل والديها. منزلنا هو المكان الوحيد الذي شعرت فيه بالامان الذي لم تعرفه، لا أستطيع أن أتخلي عنها. هل تفهمني يا اليكس، بساطة لا أستطيع أن أمجرها!"

وامتلا صوتها بالدموع وهي تقول:

"انظر قليلا يا حبيبتي. حتى تقرر تينا ما تريد أن تفعله في حياتها، وعندئذ، وإذا كنت مازلت تريدني، أتزوجك وأنا في سعي السعادة."

لم تصدق تينا أذنيها. وخرجت كالمخدرة من الغرفة، عائدة الى المطبخ.



## ٢ - بداية الرحلة

تقع صوت الطائرة مدوياً وهي تدير محركاتها لتجري على  
مرح مطار لندن، وكان دوي المحركات المقاتلة يصرخ في  
سما غميمة، عمياء، أبلابة، بلهاء... وملاّت الدموع  
منها وهي ترسل نظرة أخيرة إلى الشخصين اللذين تشعر  
خدمها بكل هذا الحب، ويتألم الضمير، لكن الطائرة  
ستدرب حياة لمقرص بطراتها، وتسافر هي طريقها إلى  
دمشق، ومنها إلى البرازيل، لتهبط في مطار مدينة مانوس  
حيث كان من المقرر أن يلتقي مع أعضاء الفريق الذي يشترك  
في "مهمة عمته" آخر رحلة عظيمة على الأرض!

سرحت تبدأ تماماً هي مقعدها، وأراحت رأسها على  
جدار صغيرة - الخمضت عينيها، واسترجعت مرة أخرى تلك  
الذخيرة التي سبقت رحلتها، تداعت الصور أمام عينيها  
وهي تشرح الأحداث التي أخرجتها من حياتها الهادئة.  
ثم تكذب نفسها: هل صحيح أن كل هذا حدث في أسبوع  
واحد، فقط منذ سمعت كريس تقضي بحبها إلى أليكس؟  
هزمت الطائرة اهتزازة عنيفة أثر سقوطها هي أحد  
معدات الهوائية، وارتفع الضجيج حولها، ولكن ذلك لم  
يسمع أن مطعمي على الامها النفسية التي كانت ترهقها.



كان رد فعلها شوق عذبة سمعت من صوت عمها الهامس وهي تدعي أليكس. أن ترحب بهوء إلى المطبخ، وهناك نظر حبيب في دهول ملاها بالأسى ثم ملاحظا لبقها. وذا سها. هذه لاسه في حبيب تنعل بالمرأة من تحت طوي صوت من لها طوي سخاة، مضحية سمعتها وسعادته الرحمن الذي تحب و-لمسفل العائلي واسب و ذولاد. وأحدث تما نوم نفسها. انها الصبب في التفريق من اتين هما أحب الناس إلى قلبها. ووضعت رأسها الملهب على حائط المطبخ الرخامي البارد، لهدى الخفى التي ملوب عقلها، وترغمها على مواجهة الحقيقة المرة. أن حل مشكلتهما من يديها. صحيح أنها لا تستطيع أن تنكر أنها كانت تسعى لو تنقى سموات طويلة مع عمها، شريك في العمل، سعيدتين معا. طالما اعتقدت أن كريس وهت حياتها لعملها الذي أحته. لكن يبدو أنها كانت محطنة وواهمة. وشبنا فشبنا، كان عليها أن تتخلى عن أحلامها، وأن ترغم نفسها على وضع خطة جديدة، خطة بلغت من النجاح حداً أوصلها إلى هذه الطائرة المصحبة بها إلى مكان تعرف مسبقاً أنها سكرهه. ولكن... لا يوم. لا شيء يهملها إلا النتيجة التي حققها، وهي اجبار كريس وأليكس على تحديد موعد رفاقهما بعد أسبوع واحد من عودتها.

وقطعت المصفاة عليها سيل خواطرها، قائلة.  
"نسة دوسللي، هل ترمدين بعض القهوة؟"

ردت بصوت بارد، صدم الفتاة هي الحال. وبرغم شعورها محتومة برد أنها لم تستطيع أن تعتذر لها. أدارت وجهها إلى الصفاة. وهرة أخرى عادت الذكريات تطاردها.

واخترقت الطائرة سخابة قاتمة، جعلت اليوم حولها تتحول إلى شاشة سوداء تستعيد عليها ذكرياتها، وكأنها ترى أحد الاعلام السنمائية تعرض أمامها. انها مشاهد الآن رأس كريس بتاجه الذهبي الأحمر، معبداً على كنف أليكس، وبطرة الدب في عيونهما عندما عادت إلى الغرفة في المرة الثانية، بصوت مسموع. ورأت نفسها في ردائها الأرق، وقد محجت في رسم ابتسامة عريضة على شفيتها، وسمعت صوت عمها مرحباً:

"أهلا عزيزتي تينا، هل أعددت قهوة، انني في حاجة شديدة إلى هيجان منها!"

ووضعت تينا القهوة في الفناجين الثلاثة، قبل أن تتجه إلى عمها قائلة:

"كريس، من يمكن حقاً أن أذهب بدلا منك إلى تلك البقاع؟" وأمسكت أنفاسها قليلاً قبل أن تواصل كذبتها: "كم أسمى لو أذهب إلى هناك!"

وساد الصمت. واستابت الجميع دهشة كاملة، ثم قالت كريس:

"ماذا؟ ذلك ممكن طبعاً، لكنني كنت أعتقد أنك تكرهين السفر. كما كنت تقولين..."

عفاطعتها تينا وهي تحاول أن تتصنع اللباقة:

"نعم أعرف ما كنت أقول. غيرت رأيي الآن، وفي أي حال فهذه تقاليد العائلة. أليس من الطبيعي أن يكون كل آل دوسللي من المكشهرين؟ عشت مستقرة في مكاني مدة كافية."

ورفعت يديها أمامها محاولة أن تزيد من اقناعها، ونجحت في أن تكتنم ألياً صامتاً في صوتها وهي تستطرد:



"أنا الآن في مرحلة الشباب، وأشتاق الي أن أرى هزيذا من العالم، وأعتقد أنك تفهمين شعوري ماعتي. أليس كذلك؟ لعل اللهفة الي المعامرة والحمين الي الترحال يجريان هي دمائنا. هل يمكن أن ساعديني على القيام بهذه الرحلة؟"

وهي الحال، تدب الحفاصة الشديدة على وجه كريس وقالت: "نكل سرور يا عزيزتي، إذا كانت هذه حقا رعمتك. كنت دائما أسمى أن ماني هذا اليوم. كنت أعتقد أنك تكرهين فكرة السفر."

وتحول تعبير وجهها الي الدهشة، وهي تردف: "ويكر كيف حدث هذا التعبير المفاجي؟" عند لحظات عندها اقترح أليكس الفكرة، قبل الي امك ترفضها بشدة، والآن بحريسي أنك هي عابة الحفاصة للاشتراك هي الوفد؟

ورأت تعسرا على وجه تينا، حملها كتفل مظهرها الي باب المطبخ، الذي كان ما يزال يهتز. ولكن قبل أن تصل الي الربط سبه وسر ما حدث، أسرع تينا الي الباعدة، وحذبت الستائر التي تحجب الجو القارس في الخارج وأشارت قائلة بحفاصة: "انظري الي الطقس."

ثم أضافت بصوت مسرعي أخاذا:

"مر لا يرقص أن بترك هذا الجو الي شمس الراريل الساطعة، إذا منحت له الفرصة؟"

وبحب الحدة، عند تلك اللحظة بدأ التخطيط او المحايل كما أطلق عليه الدكتور أليكس. فقد صدم بتجاهل كريس لقواعد الاخلاقيات وهي تعد تما لتحل محلها لدرجة أدهشته. بعد رفض أن تحمر السير هارفي هاسيمان بهذا التبديل، وعندما اعترض أليكس قالت بصوت هارم:

"لا. لن نخبره الآن. انه راحل في الصباح الباكر الي الولايات المتحدة الاميريكية، وهذا هو السبب في أنني قضيت اليوم كله معه لآسهي كل تنظيمات الرحلة، وسأشرح له ما حدث بعد عودته!"

وعاد أليكس يعترض:

"وماذا عن بقية اعضاء الفريق، ألن تكون معاحة لهم أن يجدوا شخصا تحريبا عنهم تماما ينضم اليهم؟" هاجمته كريس بصوت منتصر:

"لن يعرفوا أننا لم أهابل احدا منهم، وتينا وأنا محمل الاسم نفسه كريستينا دوسللي. لن يمتبه أحد للتغيير، وكل ما يمكن أن أطلبه من تينا هو الصمت والابتعاد قدر الامكان عن اعضاء الوفد."

وعبنا حاول أليكس أن يظهر الخطأ في سفر تينا غير خبيرة هي رحلة مثل هذه في قلب غابات الأمازون، وهي تحتل مكان مكتشفة لها سابق خبرة عالمية، وبين لهما خطوة هذه الرحلة دون عين حارسة ترعاها، وأنه ليس من العدل أن تشترك في معامرة يعتمد كل من فيها أنها محقوفة بالاضطار التي يمكن أن تصادفها في هذه الاماكن القريبة. لكن اعترافاته كلها ذهبت عمثا. فقد تعسكت المراتان بمواقفهما باصرار وعناد.

وقطع على تينا حمل تخطيطاتها صوت قائدة الطائرة وهو يقدم بصوته المرح فكرة للمسافرين عن ارتفاع الطائرة، وعن السرعة والطريق الذي تسير فيه، وشعرت تينا بالغضب الشديد وبالكراهية تجاه ذلك الطيار الذي يسرع بها الي محنة جعلت حلقها يحف ودموعها تتدفق لمجرد التفكير فيها.

لم يعرف أحد أبدا الاخلام المزعجة التي كانت تهاجمها



في طفولتها، كان قلبها معلقاً بأحكام على ذكريات طفولتها العاسية، على الأحداث المؤلعة التي ظلت محبوسة في عقلها حتى الآن، وعلى الأحداث التي دهرت سنوات طفولتها الأولى، هي ما زالت تذكر عندما كانت معلقة في مهدها الصغير، المعطى بشبكة كبيرة تمتد عنها الحشرات. هذه الحشرات الهائلة التي تظل تحوم حولها باصرار، وتسد كل طاعتها بحثاً عن منفذ تنسرب منه إليها. وهي مكان آخر وربما بلد آخر تماماً كانت تجد نفسها مرة أخرى تحت مظلة بيضاء تحميها، لكنها لم تكن محروقة على أن تعلق عيسها من الخوف من هذا العنكبوت الأسود، ذي الشعر الكثيف، الذي يندلى من أحد الأركان بالسقف، محملاً فيها، وكأنه يتوعددها ويهددها. كانت تستطيع الصراخ، لكن أمها كانت مشغولة عنها دائماً لدرجة تمنعها من الحضور لانقاذها. الوعيد الذي كان مدركها، شخص مجهول أسود اللون، وكانت تعرف بحبرتها أن دوي الوجوه السوداء، لن يفهموا صرخاتها، ولن يقدروا محاورتها.

أصوات الحيوانات أيضاً تحتل جزءاً كبيراً من كوابيس طفولتها. رنير الأسد، وأصوات الممر العميقة الصادرة من أعماق حناجرها. حفيف التعانيس الزاحفة المتوعدة، والمتحركة حولها دائماً. كل هذه الأشياء تعرها، وتعرف أكثر منها، كلها تتجمع وراء الشبكة التي تحميها من الحشرات، في انتظار اللحظة التي تنقض عليها.

أما خوفها الأعظم، فقد كان على والدتها. هذان السعيدان اللذان يسيران، يضحكان ويثرثران في قلب المظنر الأسود خارج شكاكها، ينسلمان لها ويرمتان على رأسها هي الأيام الباردة التي كانت تحاول فيها أن تعبر لهما عن مخاوفها الطفولية، لكنها كانت تعرف أنه ذات يوم سيتغلب

عليهما هؤلاء الأعداء المترصون وبعد سنوات، عندما انهارت عندها أمامها وهي تبنيها بموتها في مكان ما في قلب الأحرار، لم يكن ذلك غريباً عليها. بدا كأنه نهاية متوقعة، فقد كانت تعرف أنه بطريقة أو بأخرى ستتغلب عليها قسوة الادغال الوحشية، تماماً كما سيحدث لها. وهذا هو العصير الذي ينتظرها إذا ما عادت مرة أخرى إلى العابات.

وارتعدت. تجمدت الدماء في عرونها، فبعد اللحظة التي قررت فيها أن تأخذ مكان عمته في الرحلة، خطمت الحساسية أعصابها، وتسلط الخوف الشديد والبرودة على قلبها لكنها أخفت مخاوفها بمهارة، فان أي سقطة تظهر الحقيقة جذبة بأن تحطم كريس و أليكس، ربما إلى الأبد. وهكذا بحثت في أن تمنع الشك من أن يتطرق اليهما. فلم يكتشفا أبداً أنه تحت ستار السعادة والاثارة التي تظهرها، تخفي كل هذا الخوف الذي يدور عقلها ويهتل أحاسيسها، حتى أنها عندما خطت أولى خطواتها من الطائرة في مطار هانوس، صمرت وكأنها تحولت إلى قوقعة أغلقت أبوابها على عقلها تماماً.

وردت على وداع المضيئة بهرة صامنة من رأسها، ونزلت من الطائرة. هوججت بدرجة الحرارة العالية، وجمعت حقائبها، واستقلت تاكسي، أعطته عنوان الفندق الذي ستقابل فيه بقية طاقم الرحلة، ولم تغارقها ذكرياتها. أحدث تنقل عليها أكثر، وأكثر...

عندما كانت الطائرة تدور حول المدينة استعداداً للهبوط، ألقت تيماً نظرة إلى أسفل. رأت الادغال الكثيفة الخضراء التي لا تنهي، تحضن المدينة تماماً في أحراشها الخضراء. وأبقت ذلك بكل قسوة ما أخفى في أعماقها من



مخاوف طفولتها الأولى.

بعد ساعة، وتأثير تكييف الهواء في غرفتها الفاخرة في الفندق، بدأت تشعر بالاستعاش، خصوصا بعد حمام بالماء البارد، أرادت ثوبا من القطر الأصفر ملا أكمام، واتحدت طريقها هائلة السلم الى قاعة، وأسرع اليها الساقى وهو يرى ترددها في اختبار المكان الذي تريده، وحاولت أن ترسم ابتسامة على وجهها لكن شغفها كانتا جاهتين، وخرج صوتها باردا وهائسا، وقالت للساقى:

"أود أن أقابل السيد هيفاس وجما عته!"

ولمعب عباء بالسرور وهو يحنى أمامها قبل أن يطلب منها أن تنتعه، وقادها مباشرة عبر العرصة الى مائدة بخوار المائدة العريضة يجلس حولها مجموعة من الرجال يبدو عليهم أنهم من الشخصيات الراقية كانوا ينتظرون الطبق الأول من طعامهم وهم يتحدثون، وخيم عليهم صمت مفاجىء عندما وصلت نساء النهم. وقفوا جميعا، بنصف ابتسامة، ينتظرون أن تتكلم.

فالت بلا تردد:

"تسا دويللي، عالمة نبات، انا مدعوة الى الانضمام الى جماعة السيد هيفاس!"

وهي الحان امتدت الأيدي لتقدم لها مقعدا وبدأ سيل من كلمات الترحيب منهل عليها وللحظة بدأ الجميع يقدمون أنفسهم لها في وقت واحد، ثم تقدم الرجل الذي يقف الى يمينها ليستقر على الموقف، وقدم لها نفسه، ثم بدأ يقدم الآخرين. أخبرها بلهجة أميركية أصيلة أن اسمه فيليكس كريللي وأنه عالم طبيعة. وأعجبها وجهه المشطح المربع، وبظرائفه الحارة المرحبة بها، والتي تطلب منها أن يتصمم،

ثم قدم لها شابين عملاقين، صغيرى السن، كانا يتسلمان مرحبين بها عبر العائدة:

"لارس و أندرز بريكلنغ، مصوران من سكديافيا. ولسوء الحظ انهما لا يتحدثان الانكليزية."

وأخذت رأسها للشقيقين صاحبي الابتسامة الواسعة بينما وصل هينكس كريللي قوله: وهذا زميل انكليزى، مواطن لك، هانز ديمريت عالم في الجغرافيا. أحس الرجل الطويل، ذو عظم المدرسي، رأسه بتحية وقورة، واستقلت عيناها الى رجل الذي يحاوره. كان له شعر رمادى، وعينان أليفتان مرمسان وحياها بصوت يدل على أنه اسكتلندي أصيل. وعرفت منه جوك ساندز.

حدث هذا التعارف، كانت تشعر بالقلق ازاء نظرة محمقة من راس، كان هو الأخير في اللقاء. وأصابها الدهشة عندما رأت محمد الهائل وكتفيه العريضتين، وقد أحس بطوله الذي يرت على مترين ليهددها. نظر اليها فاحصا. وكان عليها أن تجمع كل قوتها حتى لا ترتعد وهو يفلق يده على يديها بحركة الصخرة التي يعطيها الشعر الأشقر. وشعرت كأنه يمسح في جلدتها!

في تلك اللحظة، ما أما فاستطيع أن أقدم نفسي. اسمي محمد سمور، أميركي كما لابد لاحظت من لهجتي، مهندس من مدينة غي العشرات من رحلات القابة هذه، يمكنك أن تعرفني حواري، فأنا أعرف كل ما يجب أن يعرف عن مناطق الجغرافيا، إضافة الى أنه سيكون من دواعي سروري أن أقدم لك بعض الكتب.

محمد هي أن تخلص يدها من قبضته دون أن تظهر صبر سدي أمانيها نتيجة تأثير هذا الرجل عليها،



لكن صوتها كان ثابتا عندها أعلنت ببرود:

"أعتقد أنني لن أحتاج إلى عرضك هذا يا سيد برانستون. وهي أي حال أنا لست غريبة عن الأدغال، ولم أحضر إلى هذه البعثة وهي نيتي أن أحمل من أي شخص حارساً لي".

وكانت كلماتها متعمدة تماماً، تهدف إلى اتهام مراقبيها بأنها خبيرة مجربة في الرحلات والمعامرات. وبحت خطتها بطريقة باهرة، في الحال. تغير سلوكهم من الرهبة والمحاملة، الذي ينبع من شعورهم بوجود أمشي جميلة بينهم، وظهرت عليهم علامات تعجب اختلعت درجتها. **ولو أن** قطعة صغيرة أظهرت حياة مخالط دامية، وأظهر مدمرة، ما استأنسهم الحيرة أكثر مما حدث لهم عندما هوجكوا بهذه الغناة الربينة المظهر، الرقيقة مثل صورة على حائط، الجميلة بطريقة باهرة، وهي تتكلم بصوت لاذع كالسوط، راضية عروضهم الطيبة، وتأملتهم تينا وهي ترى **خسب** أمهم. لم تكن ترغب حقيقة في أكثر من أن تنال ثقتهم وترتبط بهم وشبهاتهم، فهم من القوة بحيث يستطيعون حمايتها، لكن كان عليها أن تحتفظ بسرهما، لم تحرق على البوح بأنها مريضة، لذلك لم يكن لديها الخيار، يجب أن تسي جداراً من الحفاظ بسببها ومن زملائها خوفاً إن يوحوا إليها ولو الحد الأدنى من الأسئلة. وبذلك تضمن بقاءها وحيدة، ترتكب أخطاءها بعيداً فلا يكتشفها أحد.

كان ثيو برانستون الذي استعاد حالته الطبيعية أول المتكلمين:

"رائع رائع... هذه هي الروح المطلوبة!"

وصفق بيده على ركبته بشدة، وأردف بصوت عال:

"أسي أحب الأشخاص الذين يتمتعون بهذه الروح نعم نعم!"

واقترب الساقى ومعه الطبق الأول من الطعام. وقومل بالرحاب، فقد ساعد ظهوره على كسر الصمت الحرج الذي حسم عليهم... وأخفت تينا قلقها وراء ضاحك من اللامبالاة، أما ثيو برانستون فإن عيبه اللامعتر لم تجداً أي تعبير على وجهها الصامت يدل على اهتمامها بكلامه، أما بقية الرجال فقد كانوا جائعين. وبشغلوا بالتهام الطعام، وبالدريج أعادوا تنظيم أنفسهم حول المائدة، وواصلوا أحاديثهم التي انقطعت... وجلست تينا بين ثيو برانستون وزميله الأميركي فيليكس كريللي، ولم تظهر أي رغبة حقيقية في الاشتراك في أي حديث معهم. لكنها لم تستطع أن تتجاهل السؤال المباشر الذي وجهه إليها فيليكس كريللي:

"أنت دوسيلي، هل هذه هي المرة الأولى التي تخرجين فيها في رحلة مع قائد بعثتنا السيد فيعاس، أم أنك كنت سعيدة الحظ وشركت معه في رحلة سابقة؟"

وهزت تينا رأسها بهدوء، وقالت بمظهرها الواثق: "كلا... لم يحدث لي هذا الشرف من قبل يا سيد كريللي، ربما أمكنك أن تقدم لي بعض المعلومات عنه!"

امتلاً وجه فيليكس كريللي الهاديء بالحماسة وقال:  
"الحقيقة أننا لم نقابل بعد... لم يقابل أي منا حتى الآن، لكننا جميعاً نعرف الكثير عن الأساطير التي تحكي عن قدرته على قيادة البعثات العلمية خلال الأراضي التي يفشل فيها كثير من الرجال الأقل منه خبرة... أينا، ويمكنني أن أتحدث بالنيابة عن زملائي - نعتقد أنه شرف كبير لنا أن بخارنا بنفسه لنصحبه في هذه الرحلة!"

اختارهم؟ وضعت تينا معلقته في الطبق، وأمسكت مغوطتها لتخفي فيها رعدة يديها، وتساءلت: هل معنى



ذلك أن رامون فيغاس يعرف عمته كرمس؟ وإن كرمس في  
عمرة أعمالها المحفوفة بالمخاطر والتي تجعلها تحسب كثيرا  
من الناس عندما تكون مستعرفة في أبحاثها - استطاعت  
سواء حظ لا يصدق أن توقعها هي ورطة مع رامون فيغاس؟  
ولاحظ برانستون اضطرابها، واحتفظ بدكائه الماكر بهذا  
الحادث في ذاكرته، فقد بحتاج اليه في المستقبل... وهكر  
في أن الأمور لا تسير على ما يرام مع الأسرة جبل الحليدا لقد  
انطبعت في نفسه الآن صورتها التي تبدو وكأنها لا تبالي بأي  
شيء، وارتفع صوته بحدة، وهو يقنح الحديث، معارضا رأي  
فيلكس كريلي حول رامون فيغاس العائب؟

"ليس صحيحاً أنه أختارنا. فقد أرسلني المنظمة التي أعمل  
فيها إلى هذه البعثة لأنها اعتبرتنى أفضل رجل لديها يقوم  
بهذه المهمة. بدأت أشعر بالاعتماد من سماع "قصائدكم"  
في مدح فيغاس. اسمع يا كريلي، انني أعقد أنه مجرد  
برازيلي آخر شق طريقه في هذه الامحاء، وهو يتعاضد مع كل  
الرجال المتعطسين من مواطنيه. انني لا أحتاج إلى أي  
شخص بقودسي وسط الأدغال، كلنا ذهبنا في بعثات أخرى  
بغير وجوده أو قيادته أحسب أن رجلا يحمل لقب كاراميرو  
سيحتاج إلى أن يكون قادرا على اثبات جدارته به ولنسوف  
أنتظر باشتياق لأري كيف يفعل ذلك!"

ومسح بمظراته المقاتلة المائدة، منتظرا أن يعارضه أحد  
لكن شيئا من ذلك لم يحدث، بل واصل الشقيقان بريكليينغ  
طعامهما، مجاهلين تماما العبارة التي أعلمها زميلهما، وظل  
هانريديريت محتفظا بوقارة الانكليزي وهو يتحدث مع  
الاسكتلندي جوك سوندرر الوحيد الذي امهرى للمعارضة كان  
فيلكس كريلي، الذي قال بصوت حاد يسطق بثقله في

كل كلمة يقولها:

"أنا لا أوافقك يا برانستون! السيد فيغاس مشهور جدا  
بخطره، ويجب أن يكون جميعا شاكرين له قيادتنا في أخطر  
رحلة في العالم!"

رد عليه برانستون بإبتسامة غامضة:

"سرى. فقربا ينبغي عليه أن يتنب لنا حذارته، سيعود  
اليوم من وراء النهر، حيث كان يعد المؤونة والوقود، وسيظهر  
أن يصل إلى القيد الليلة، وعدا هي الموعد نفسه سيكون في  
مكان ما في وادي الأمارون... وسرى اذا كان السيور فيغاس  
يستحق هذا لقب "رجل من نار"، أم أن شهرته تعيش فقط في  
خيال بعض السطاء من اليهود الذين أطلقوا عليه هذا  
اللقب..."

وبوجه منحهم، دفع طبقه بعيدا، وترك المائدة... تاركا  
وراءه صمت حرجا.

\*\*\*

استنقظت تينا مبكرة صباح اليوم التالي، بعد ليلة مضية  
قصها نصف نائمة. وكانت سعيدة لأنها ستترك الفراش  
وسرع لتستبعد حيويتها بحمام بارد، ثم ارتدت ثوبا بلا  
أكمام من القطن، ذا لون أررق تلحي ليتلاءم مع المظهر الذي  
تريد أن تظهر به، وجلست أمام المرأة تصفف شعرها،  
ومحرب معظ وهي تنظر إلى صورتها. هذا



الصباح ستواجه محنة مقابلة رامون فيعاس وهي تحمل  
الاكدوية الكبرى التي بدت لها بسيطة وهي في استكثراء  
ولكنها الآن في هابوس بدت وكأنها تمثل مشهدا يحتاج الى  
انتقان .. فامام الاسئلة التي تتوقع ان توجه اليها، لن يكون  
امامها الا الكذب، ومعزيمه قوية، ابعدت عن فكرها ما يريب  
الضمير الذي يعذبها، مستعينة على ذلك بتذكر وجه عمتها  
الصاحك ومظرات اليكس المدهشة. لقد كانت سعادتهما  
كاهية في مظهرها كي تقدم على أية أكاديب ستضطر الى  
ذكرها لرامون فيعاس!

كانت غرفة الطعام خالية، لكن الساقى أسرع بعد لها مقعدا  
امام مائدة بجوار النافذة، وقدم لها قائمة الطعام. طلبت  
قهوة وساندويتشا مع عصير الكريب فروت، وفي اللحظة التي  
بدأت فيها تناول الطعام لمحبت قائمة ثوررانستون الضخمة في  
مدخل الباب وشعرت بخوف يدفعها الى أن تنهض وتهرب،  
ولكنه كان أسرع منها، وألقى بحسمه العملاق على المقعد  
المحاور لها.

"صباح الخير يا آسة دويللي. اما سعيد جدا، لم أكن أتوقع  
أن أجذك هنا في هذا الصباح الباكر .. هل تسمحين لي بأن  
أشاركك المائدة؟"

"يبدو أنه ليس لي الخيار!"

لكنه كان محصيا ضد الالهامة فطلب فطوره بكل ثقة، وكان  
منظره وهو يستلج الطعام بسرعة كافيا كي يفقدها شهيتها  
هدفت الصحف جاسا، وحاولت النهوض، وقبل أن تستأذنه  
منصرهة، رفع ذراعه بإصرار:

"هل سمعت آخر الاخبار؟"

"آية اخبار؟"

أشار لها بيده الى الكرسي وقال: احلسي سأخبرك كل  
شيء!"

لم تكن متأكدة اذا كان ذلك مجرد خطة منه ليؤخر رحيلها  
لكنها لم تجرؤ على أن تترك أية تفاصيل تبعتها عن  
الأحداث .. استخابت وهي تشعر بالاشمئزاز منه، مبينا اطلق  
هو ضحكة سعيدة، ورشف رشقة أخرى من القهوة قبل أن  
يقول:

"وصل السد فيعاس مساء أمس في وقت متأخر، وكان  
الجميع من فهم آنت قد آووا الى فراشهم، وهكذا لم يجد  
عيري. فأنقذني الي بتعطيلاته لابلعها اليكم: "انه يريدنا أن  
نجتمع به في الصالون الخاص به في الساعة التاسعة والثلاث  
تعاما، كي يقدم اليها ملخصا للرحلة، على أن تكون الساعة  
التاسعة محرة ظهرا هي ساعة التحرك. وعلى ذلك يجب أن  
تكون كل المعدات والأدوات جاهزة وموجودة عند بوابة الفندق  
في الساعة الحادية عشرة، كي تنقل الى السفينة."

وشعرت قنبا بالخوف: ان محنتها الحقيقية على وشك أن  
تبدأ، وبعد ما رمقها ثيو بنظرة مأكرة اضاف:

"لكن ذلك ليس كل شيء .."

قالت نينا وهي تضرب الأرض بقدمها بصير نافذ. حسنا،  
وماذا أبصا؟"

"لم يصل السد فيعاس وحده فقد اصطحب معه سيدة أخرى،  
اسمها السيدة 'مترغارسيا' براريلية رائعة، وصدقي أولا  
تصدقي أنها طبيبة! وانا أتوقع موجة من المرض تحتاج  
أعضاء الرحلة خلال الأسابيع القليلة القادمة، اذا كان علاج  
السيدة اميز لهم سيكون هو المكافأة لذلك عليك أن تتنبهي  
حدا يا آسة دويللي، فقد أصبحت لك الآن منافسة خطيرة .."



ولم تهتم تينا بالرد، بل حدجته بنظرة احتقار، ووقفت وتركته يضحك وحده على فكاهته التي ألقاها وكانت كلماته لا تزال ترن في أذنها وهي تسرع إلى غرفتها: إن الساعة التاسعة والثلث، هي اللحظة التي يقرر فيها القدر ممثلاً في رامون هيفاس مصير حطتها... يحب أن تبدو معلوماتها على درجة من الكفاية تقبّعه بأنها قادرة تماماً على المشاركة في الرحلة.

ربطت معداتها في أصغر حجم يمكن، وسرّكت كل شيء غير ضروري، ثم اتصلت تليفونيا بإدارة الفندق لترسل حادها يحمل حقائبها إلى أسفل، حيث تكون معدة في الساعة الحادية عشرة، كما أخبرها ثيو. ولم تكن الساعة قد بلغت التاسعة، فقررت أن تكتب رسالة إلى عمته قبل أن تبدأ الرحلة. ووجدت صعوبة في كتابة الرسالة. كانت تسوي أن تعبر عن شوقها ولهفتها وتوقعاتها للرحلة التي ستبدأ اليوم، لكنها شعرت بالكلمات تخونها.

وامتلأت الأرض حولها بالأوراق التي مرقتها قبل أن تكتب الرسالة أخيراً. وحملت في ساعتها... إن وقت اللقاء الحاسم أرف. وشردد وضعت الخطاب المحتوي على القليل الذي استطاعت أن تكتبه، في ظرف ودسته في جيبها لترسله بالسريـد. لم يعد هناك وقت تصبّعه في أكثر من ذلك، فقد دقت ساعة الصفر.

عندما وصلت إلى العرفة التي دلّوها إليها، وقعت مترددة فوق السجادة النخيلة التي تكسو العمر، تتساءل هل تطرق هذا الباب الخشبي الأسود، أو تدلّ بهدوء عندما سمعت همهمة أصوات من داخل العرفة عرفت منها أن الجميع حضروا فعلاً، فاستلمت قوسها،

واستجمعت شجاعتهما، متوقعة أن يحدث دخولها ضجة باعتبارها آخر الحاضرين.

لكن دخولها لم يحظ بأي اهتمام، ما عدا نظرة سريعة ذكية من الرجل الذي كان واقفاً يشير إلى خريطة تغطي تقريباً الحائط كله خلفه، وجلست في أول مقعد صافرها، وراء الموجودين جميعاً، وتهدت بعرق وراحة، لأن دخولها المتأخر لم يسبب أي ارتباك للمجتمعين والمستعرقين في الاستماع... وتابع المتحدث كلامه بصوت واضح: ستكون رحلتنا خلال أخطر المناطق وأكثرها رعباً في البرازيل وهنزويلا، وسينتقل إليها هي أحدث وسائل المواصلات سيقروا أماكن لم يسبق اقتحامها، وساقط مياه غير ظاهرة على خرائط حتى الآن في العالم كله أماكن لم تعرف المدنية...

لن تكن تينا تتابع كلماته بقدر ما كانت تحاول الحكم على شخصيته... وسقط قلبها بين ضلوعها، علو أنها كانت تضع بعض الآمال على أن رامون هيفاس سيكون شخصية متعاطفة، يمكن استمالته بحدث ماعم، فإن آمالها كلها اسهارت الآن بعد النظرة الأولى... كان شكله يدل على شخصية الرحالة الهاسي، خصوصاً شكل الفك بخطوطه المستقيمة، وكلما تحدث ألفى بمهارة شديدة بتلميحة برافة تسقط على كل واحد من المستمعين على حدة، فيشعر كل منهم بأنه المقصود بالحديث، فينتبه إليه بلا مجهود... ولاحظت تينا أنه قادر على تحريك الناس أمامه وكأنهم قطع في لعبة الشطرنج دون أن يشعروا: وكانت عينا زرقاوين مدهشتين. وأشعة الشمس تسقط من خلال النافذة فوق رأسه الأسمر، ذي الشعر الأسود لامع... وبدت منه حركة مفاجئة رشيقة وهو يشير



بعضا الى الخريطة الموجودة خلفه، مبينا خط سير البعثة..

كان ما يزال يتكلم، ولكن تبين لم تكن متببهة الى كلامه، وقد جذبتا عضلاته القوية النارية تحت قميصه الحريري. وتلمحاته السريعة الذكية التي لا يفوتها شيء، والتي مخلق حوله حوا بفوح بالثقة هي قدراته، والتي تحوينا نظراته الملونة الشاردة أحيانا الى خارج المائدة، وكأنه موجوده في العرفة ابتعد كثيرا عن الحرية، كل هذه العبيرات كانت ترسم شخصية حيوان يائس من امكان الهرب من قفص معلق!

شرح فيعاس مراحل الرحلة وما يحف بها من اخطار وانظر قلبا، ليري تأثير كلماته عليهم.. وعندما شعر بانهم يوافقون لمعرفة المخاطر التي سيواجهونها، قال باصرار

"اذا كان بينكم شخص يريد أن ينسحب، او انه يشك في قدرته على القيام بالرحلة، أرجو منه مكل أمانة أن يعلن ذلك الآن. وأرجو ألا يشعر بالخجل من اعترافه بالخوف، والواقع أن هذا الاعتراف يحتاج الى شجاعة لكن يجب أن يؤخذ أنه بمجرد أن تغلق السفينة المحلقة فلن تكون هناك عودة مهما كانت الظروف، كل شخص هي هذه الرحلة يجب أن يكون قادرا على الاستمرار، حتى اذا اضطر الى البقاء وحيدا في قلب الادغال، فانا لا أبوي أن أحمل معي سائحا وانما كل فرد ستكون له وظيفة يقوم بها، وادا كان هناك من لا يستطيع القيام بالمهمة التي ستوكل اليه.. فليقل ذلك الآن!"

وبدا أعضاء الوفد يتناقشون، وقرر فيعاس أن يترك لهم فرصة لاستيعاب كلماته، فترك المسطرة على المائدة وسار وعلى همه استماعه مريحة في اتجاه امرأة كانت تجلس بعيدة عن الباعين ولم تكن تبين قد وجدت الوقت للفحص تلك المرأة، وان أدرك أنها لابد أن تكون السيدة

سير عارسيا.. كما انها لم تجد وقتا لتلاحظ شعرها الاسود المنقسم الى قسمين، والمسندل على خديها الباعمين، ولا همها القرمزي الذي ترهقه في اغراء واستدارت لتندمج في المحادثات التي دارت حولها..

واكتشفت ان بقية أفراد البعثة تقابلوا مع الأشخاص الذين قابلتهم بالأمس، وقام فليكس كاريللي مرة أخرى بمهمة التعرف لكن هي عمرة الضجيج ضاعت الأسماء وعرفت أن الوفد يضم ١٨ شخصا، سألها العبطان جوزف روجرز:

"هل استطاع رامون أن يخيفك، متحذيره المبالغ فيه يا أسة دوميللي؟"

كانت ستعترف بذلك. لكن عقلها الواعي أدركها بسرعة، فسطقت بطريقة خالية من الحرارة:

"لا طمعا لا ان شيئا لن يجعلني اخاف هذه الرحلة وأعتقد أن لسيد فيعاس، احب أن يقدم نفسه اليينا بطريقة مسرحية بعض الشيء، لكنني أجد له عدرا من أصله اللاتيني، الذي بترك أثره على أحكامه بوضوح. ونحن جميعا هنا في كل حال ناس لنا خبرتنا، ومن الاهل للسيد فيعاس أن يركز اهتمامه على من كانوا نجباء عن الغابات!"

"هل هذا صحيح؟"

جاء الصوت من مكان ما حولها، والتفت تبين بحثا عن صاحب الصوت.. فوجدت نفسها امام رامون فيعاس، وفتح همه الصارم ليوجه كلمة احتقار غاضبة، لكنه عاد فأغلقه، وبتدار يوجه كلامه الى المجموعة التي احتشدت وراءه:

"أعتقد أنها السادة أنكم أعددتكم كل التجهيزات الضرورية، هذا كان كل منكم على استعداد لانباغ تعليماتي، فهل لكم أن تنوجهوا الى غرفكم، وتحضروا معداتكم لمقابلة



الى السفينة المحلقة؟ ان لديكم وقتا لغداء سريع قبل ان يبدأ  
رحلتنا ظهرا أرجوكم الا تتأخروا\*.

وبعدما خرجوا أمسك بذراع تينا، هوقفت وهي تعاني من  
البطرات التي وجهت اليها. انتظرت هي صمت حتى خرج  
الرجال من العرفة، ولكن عندما أغلق الباب بعد آخر رجل،  
خلصت ذراعها من يده بمظرة استنكار، وقبل أن تنطق، اذا  
بعاصفه من الضحك الساخر تذكرها بوجود اميرغارسيا في  
العرفة!

فالت أسير:

"رائع يا سميوريتا\* وصفت بيديها، ثم استطردت:  
\*طوال حياتي لم أحد الشجاعة لأتحدى رامون بالطريقة التي  
أقدمت عليها، مع أنني تمنيت كثيرا أن أفعل ذلك هل  
تسمحين لي بأن أبدى اعجابي بمرأتك؟"

وظل صدى ضحكات انيزغارسيا يتوحد طويلا في العرفة  
بعدما أغلقت الباب وراءها، تاركة تينا وحدها مع الرجل الذي  
كان في هذه اللحظة يمتطي عليه نعاما لقب كارامورو، وقد  
كانت النار تشتعل فيه، بينما أشعلت الشمس التي تلمع من  
خلال السائدة خصلات شعره، وجعلتها بلون الكهرمان.

وارتفعت ذقن تينا، وأغلقت فمها لكنها أحسّت الخوف في  
عينيها ماصطباع البرود، وبدا هو وهي كمقاتلين في الحلبة،  
النار هي مواجهة الحديد.. ومرت دقيقة مشحونة بالعصب  
الصامت، دون أن يحرك رامون عييه عن عينيها، ثم لوح  
بمجموعة من الأوراق أمامها. وكانت فرصة لتجد العذر لتحويل  
مظراتها عنه. ثم قال:

"أبعد من الأوراق الموجودة معي، انك الآنسة كريستينا  
دوسيللي\*."

وكان كلامه عاما، لا يحمل صيغة السؤال، لكنها أجابت:  
"اعتقادك صحيح\*"

وضاقت عيناها، لكنها لم تسمح لنفسها بأن ترتعد وهو  
يراحم أوراقها. كان قباع الثقة يبدو وكأنه التصق بها، في  
الوقت الذي انتهى هو من التدقيق وكانت حذرة وهي ترى  
الحيرة في وجهه تحل محل العصب وما لبث أن سألها مدققا:

"أنت كريستينا دوسيللي عالمة النبات المشهورة؟"

وشعرت أنها لا تكذب تعاما وهي تجيبه:

"هل من الصعب أن تصدق هذا يا سيد؟"

وكان قلبها يدق بشدة فترت لحظات، ثم قال بسطو ولكن  
بصوت عال:

"بعد سمعت طويلا عن كريستينا دونيللي، وعن نجاحها في  
محبب البعثات التي اشتركت فيها، وكنت في شوق الى  
اللقاء بها، لكنني لم أسمع أبدا ما يدفعني الى الاعتقاد  
بأنها متطوعة أو غبية؟"

وعلقت تينا فمها لتعرض لكنه منعها، مردفا:

"ومن بين العديد من المكتشفين الخبراء الذين عملت معهم،  
وقد سمعت رحلاتهم، لم يظهر واحد منهم حتى الآن استهانته  
بالخطار التي يقابلها في عملها، فأما انك امرأة خارقة  
شجاعة بدرجة غير عادية، يا أنسة دوسيللي، او انك امرأة  
مدمجة الاحساس، الى درجة الاستهتار؟"

وقطع كلامه، وابتظر قليلا، ثم استطرد:

"هي كل حال الاسابيع القليلة القادمة ستكون كافية بالاجابة  
عن أسئلتني وأما أنمى باخلاص أن تكون فكريتي عنك عندما  
تنتهي الرحلة، فكرة عظيمة كما كانت قبل أن أقابلك!"  
رفعت تينا رأسها، وردت على نظراته الغاضبة بنظرة



لا مبالاة وقالت:

"ان رأيك في شخصيتي لا يهمني إطلاقاً، وحياتي سوف تستمر بعيد تقديرك، ولكن لمجرد أن تعرف..."  
وسارت في اتجاه الباب، لكنها توقفت لحظة ويدها على المقبض، أضافت:

"ستكون أنت أيضا موضع الاحترار كإرثهم، فهناك غير عضو في هذه البعثة يهمه التأكد من استحقاقك لهذا اللقب وربما في نهاية الرحلة يحتاج كل منا إلى إعادة النظر في رأيه، وأطلقت مسرعة قبل أن يطلق من فمه سيل من الشتائم."

### ٣ - الرسالة



### أعلى أورينوكو.

وكان الرورق مردحما بالمعدات وكل عضو في البعثة قد اختار مصعونة مكانا صغيرا ليقوم فيه بالعمل في أبحاثه وما هي تينا الآن تعصي هي طريقها المحتوم، وقد وجدت أن عمل هو وسيلتها الوحيدة للنجاح، وجمعت بمادجها الأولى وقررت أن تذهب بنفسها هي دراستها لتتسنى مخاوفها من المخاطر التي تكمن لها في المناطق الواسعة من الأدغال، لكي ترحل إليها الآن، وحاولت أن تتعلب على المقعد الكاملة فيها، لكن القلق كان مغمراها وهي تشاهد مدينة مابوس تحبى خلف الأفق بعيدا عن أنظارها، وكان عراؤها أمها أصبحت الآن فعلا وسط المعركة، وكان القلق يسيطر عليها منذ ترك رامون فيفاس في الصباح الباكر من هذا اليوم. وعندما وصلت إلى عرفتتها ذكرتها الأوراق المتناثرة بالرسالة التي كتبها إلى عمتها، وتحركت يدها آليا إلى جيبها حيث وصفتها قبل الاجتماع، لكنها خربت خالية! كان الخاطر الأول لدى داهمها أن يكون رامون فيفاس وجد الرسالة على الأرض في المقعد الذي كانت تجلس فيه. فاندفعت تنزل السلم، إلى العربة كانت خالية تماما. وبعد بحث فاشل، أيقنت أن شخصا ما وجدها ولكن من يكون هذا الشخص؟

حتمال واحد أصبح مؤكدا الآن: أن رامون فيفاس لا يمكن أن يكون هو الشخص الذي عثر عليها، فقد كان من المطلق في هذه الحالة أن يستدعيها ويواجهها فوراً بسؤال: لماذا سمعت رسالة من رسائل الفندق إلى نفسها، وقد وضعت عليه عيناها هناك هي لندن؟

وسمعت صوت أمير غاريسا أعلى من صوت الآلات: أنسة دمستلي هل أنت صماء؟ وجهت إليك السؤال نفسه ثلاث

ضغطت تينا قبضتها بشدة وتوترت، وهي تشعر بالاهترار الأول للمحرك الآلي القوي للسفينة المحلقة وهو يهدر هي داخلها. وكانت اللحظات التي سبقت تحرك السفينة مشحونة بالقلق. هل ستعمل بكفاءة؟ هل يستطيع ربانها تحريكها بمجاح، وهل ستحمل هذه الكمية الكبيرة من الآلات، والأدوية والمعدات، وأجهزة صيد السمك، والكبريت والدخيرة الحية، والحصى، التي سيتعاملون بها مع الهنود الحمر؟ هل يتحمل كل ذلك، هذا الرورق الأسود الهائل الذي يشبه الصعدرة، والذي سيكون مسكنا لهم على مدى أربعة أسابيع. تركت تينا عبيها لتتصقان بالساقدة والآلات تهدر متصاعدة إلى قوتها القصوى، وشعرت وكأن الرورق يحمل على وسادة هوائية، ثم اسرق في ممر أملى إلى الماء محاطا بسحابة كثيفة من الرداد، ودهشت لهذه الكمية الهائلة من أصوات الطيور التي ارتفعت صارخة في الفضاء تدور حولهم غاضبة وهم يشقون عباب النهر الأسود. وانتشرت موجة من الفرغ بين الرجال عندما أعطى القبطان جوزيف روجرز علامة النصر من غرفة القيادة، واندفعت عبارات التهاني عندما استقرت السفينة نهائيا بنسات في طريقها إلى منطقة كاريكوير في

مرات حتى الآن؟

"أسفة، ماذا تريدون أن تعرفي؟"

"أسي أعد ملعا لكل عضو في البعثة، وأريد بعض المعلومات عنك. فأنت تعرفين طبعا أسي طيبة."

وأومات تينا برأسها. دوناً أسير لا تبدو أبداً كطيبة، كانت ترتدي بلورة من النايلون بيضاء اللون، مع تمورة ماعمة متطابرة من اللون الأخضر الباهت، وحرام عريض من الجلد مشعول بالمعدن، وقد أمسك حصرها بشدة حتى بدت شديدة الضخامة، مما جعل منظرها يبدو أقرب إلى الغائبة منه إلى الطيبة، لكنها شعرت بالرضى عندما فكرت في ما ستعانيه دوناً أسير عندما تشتد حرارة الجو بعد ساعتين على الأكثر، وتصبح البلورة النايلون مع أنها تسير مع أحدث خطوط الموضة، وكأنها طبقة أخرى من الجلد، كما أن الحرام الجلدي سوف بلغت الأمتار إليها عندما يصبح احتكاكه بخصرها غير محتمل. قالت أسير: "ماذا تحملين من الأدوية؟"

أجابت وهي تعد على أصابعها: أدوات العلاج الكاملة ضد سموم الثعابين، بما فيها مشروط دقيق لا يزيد طوله عن بوصة واحدة ودواء ضد الحشرات، ومضاداً حيويًا للملاريا وأقراص فيتامين وأهراصاً للملح.

وتحولت نظرات الطيبة، إلى التعجب وسألتها: كم عمرك؟

هرمقتها بعينها كأنها تقدر عمرها بنفسها، ولاحظت اللون القرمزي الذي يخضب جلدًا الجميل وهي تفكر بوحشية، وأطلقت تينا أكديونها، ٢٦ سنة،

وبدت أسير وكأنها غير مصدقة، ومع أنها لم تعترض إلا أن تينا شعرت بأنها لا تصدقها وعاض لوسها عندما

أنت عليها الطيبة نظرة خبيثة وقالت:

"يا للثعالب العجيب، أينا هي سن واحدة؟"

ودون انتظار لأي تعليق، واصلت أسئلتها:

"ماذا أكتب أمام الوظيفة التي تشعلينها صائدة النبات؟"

وتحدثت تينا أمام لهجة الاحتقار التي تحدثت بها أسير بكلمة صائد النبات كثيراً ما كانت تطلق على علماء النبات كسفا من قدرهم أكثر من الإعجاب بهم ولم تهتم تينا بمعرفة ما إذا كانت أسير تبغي السخرية أم الإعجاب، فقد سرت للدفاع عن جميع العلماء المهامين في مهنتها، بحرارة فاسحة قالت:

"هم علماء النبات الكثير لعالم الطب يا أسفة ولولا العلماء سابقين في مهنتنا لكتم أمتهم أيها الأطباء هارلتم تعاون من جهود الفاشلة في سبيل شفاء الملاريا." وأضافت بسيرة ماعمة

"من الذي اكتشف أن أوراق السباح والفلفل الأخضر تستخدم في تحضير فيتامين ك" التي تساعد على التجلط وتمنع نزيف من كان طيباً؟ كلا لقد كان صائد نبات ثم من الذي كشف النبات ورعاه وبدل الجهد ليل نهار وأجرى التجارب مكشفت الحبة التي تشفى الحذام؟ هل كان طبيباً كلا، مرة أخرى، بل لقد كان صائد نبات وهناك المطاط والحبال والشمع من هذه الأشياء أحدث الكثير من عمر صياد النبات، وهو يمشي وحيداً ولأسابيع طويلة بين الأدغال وعلى شواطئ البحار والمعرات الصخرية العتيقة، وبرودة ضباب الصباح، في اللي الباردة السوداء، والحيوانات المتوحشة، والزواحف ماعمة."

لكنها توقفت عندما لاحظت هذه الدائرة من الوجوه



المشدوه التي أحاطت بهما . كان هجومها الذي سببته كلمات  
أميز المهيبة، قد حذب المتفرجين المدهولين، ليحاولوا  
التحكيم بين الاثنين، متعاطفين تماما مع أميز غارسيا التي  
كانت قد رسمت على وجهها بقدرة رائعة تعبيرا هو خليط من  
الخل والضعف وشعرت تينا بالعباء، فتحولت عنها، لكنها  
توقفت عندما سمعت صوت رامون فيفاس يفرق الرجال .  
ووسط جمع من المتعاطفين سارت أنيز الى الجانب الآخر من  
السفينة، تاركين تينا وحدها مع فيفاس وقد قابلت نظراته  
القاسية بنظرة حادة لكنه لم يتكلم حتى جلس الى جوارها .  
وعندئذ قال، محاولا السيطرة على كلماته بارادة جديدة .  
"أسسة دوسيلي، لماذا تجددين من الضروري أن تضاهي كل  
شخص يحاول الاتصال بك؟"  
"هذا غير صحيح ."

"اسمحي لي اسي أستطيع أن أحكم من الطريقة التي يتجنبك  
بها الزملاء، امك تعاملينهم بكبرياء . **وإذا** حكمتا على المثال  
الذي شاهدته الآن فان العطرسة فيه تريد عن الحد . التي  
أحمل كل احترام لكل أعضاء مهنتك، وأيضا للشهرة العظيمة  
التي يبعثها أنت لنفسك، ولكي أريدك أن تعرفي . . ."  
وصمت، واسحني الى الأمام حتى أصبحت عيما الزرقاوان  
الذكمتان في مواجهة عينيها:

"ان مجاح هذه اليعنات يعتمد أساسا على مقدرة أعضائها على  
التكيف مع بعضهم البعض، تماما كما تعتمد على حسن  
تخطيط الرحلة ومقدرة القيادة . وقد استطعت أن أهتم بكل  
تفاصيل المفطتين الأخيرتين، لكن الآن يبدو أسي يجب أن  
أناكد من اسهام الفريق كله خلال الرحلة، لذلك أرحوك يا  
أسسة أن تراعي في المستقبل اختيار عباراتك، وأن

تحاولي - حتى لو وجدت صعوبة في ذلك - أن تعاملي زملاءك  
بطريقة أكثر رقة مما تفعلين ."  
واسحني نحوها متوقدا، منتظرا اجابتها، والغضب الجامع  
بلمع في عينيها الزرقاوين .

أماقت تينا من الجو الساهر العدائي الذي يقفح منه،  
وكأهنت لتخلص صوتها من عقدة الصمت التي أصابتها .  
شعرت كأن جواسب السفينة تتقارب لتضيق حولها . في الخارج  
لم تستطع أن ترى غير جدار من الأدغال الموحشة، ومساقط  
مياه مدمعة، لكنها كانت قد شعرت بأنها تستطيع أن تجد  
في الداخل على الأقل بعض الأمن والحماية . أما الآن، وشبح  
رامون فيفاس يخيم عليها فما هو تهديد محنة الأدغال  
جسكة بدأ بالفعل . وانكمشت بجسمها النحيل في ركن  
معدنها، وقابلت نظراته بعينين واسعتين امتلأتا بالرعب  
وتمام منظر لراجعها، أطلق صيحة تعجب مغممة، ووضع يده  
سحراء ذات الأصابع القوية فوق يدها المرتعدة، وسألها  
مرقا

"ماذا حدث يا أسسة ما الذي يضايقلد؟"  
و حمر وجهها، وسحبت يدها من تحت يده، وهي تستعيد  
مهراتها الحادة التي دربت نفسها عليها وقالت:  
"سي أكره العنف باسمه أرحوك، لا تلمسني ا"  
ومراجع في الحال، ووقف ينظر اليها لحاضبا، ثم لمحلم  
سكمت أسانية، وهمس لها في شبه فحيح:  
"سي أكاد لا أصدق . . كيف يمكن أن يخفي هذا المظهر  
عن كل هذا السم البارد انك تدهشيني يا أسسة ."  
وممرت أنه سيقربها، ولكن بعد دقيقة من الصمت، كانت  
حسة أملاها شديدة عندها اكتشفت أنه قرر أن يعيد

المحاولة . وبصوت هاديء ، حاول أن يستميلها ، قائلا .

" يجب أن أعترف بأنا مجموعة من الناس مختلفة الامزجة والمشاعر ، وأن الاسسجام بين الجميع ليس بسيطا . . لكن الامر يكون سهلا لو أننا كنا غير مستعدين للاحتكاك ببعضنا البعض ، ولو حاولنا الاتصال في ما بيننا بنية صافية للوصول الى مجموعة منسجمة راقية . . ألا توافقيني على ذلك ؟ "

وعندما رفضت الجواب ، بدا صوته أكثر هشوة وهو يستطرد :  
" هناك اتجاه قوي للصدافة يعمو بين أفراد العريق ، وكل منا مستعد للمشاركة في الاعمال التي سيقوم بها في المعسكر الذي سقيمه عندما يتوقف في المساء . . هل تعديمي بأبك ستخيلين عن تسلطك بنسختي لروح الصداقة بأن تندهر ؟ انه شيء علينا جميعا أن نفعله ، وسوف يجمع فيه ، اذا لم يعتمد كل منا أن يصطدم بالآخر في محاولة لنحطيم معيوباته . "

كان يتحدث اليها طالبا منها الصداقة وهذا هو الشيء الذي لا تجرؤ على القيام به . وبالدفاع ظاهر قالت :

" اميت ياسيدي الى هنا للعمل ، وليس للقيام بلعبة العائلات السعيدة ، انني سأقوم بالاعمال التي تتطلب مني طمعا ، ولكن لا تطلب مني أن أكون اجتماعية لأن لا وقت لدي لذلك . "

" مساء الليلة عندما يقم المعسكر ، سيكون عليك القيام بأعمال المطبخ ، ستعدين المشاء وتقدمينه ، ثم تنظفين الأواني بعد الانتهاء من الطعام ، ويجب أن تكوني قد انتهيت من أعمالك قبل الساعة العاشرة لأنك يجب أن تستيقظي في الخامسة صباحا لتعدي طعام العطور هل هذا واضح ؟ "

هرت رأسها بالمواقفة دون أن تنطق بحرف ، فاستدار عنها في حدة ، وسار مبتعدا ، عائدا الى عمله وهجأة لم تستطع أن ترى شيئا . اد غمرت الدموع عينيها ، فحولت رأسها

الى المافذة ، وأغمضتهما بسرعة لتتخلص من دموعها ، لكن الدموع جرت على خديها سريعة وكثيفة وحارة . وكانت حفيبنها على الأرض ، فابحت فوقها لتخرج منديلها ، عندما سمعت صوت براسستون الكريه . لقد وقعت في الشرك . لم يكن أمامها وسيلة الا أن تمسح بیدها الدموع المتدفقة قبل أن ترد عنه ، وألقت رأسها بعيدا ، متظاهرة بمشاهدة المناظر أمامها ، ولكن ما هي الآن مضطرة لمواجهة بعد أن ألقي بحبسه على المقعد المجاور لها ، وسألها بفضوله المعتاد .

" هل استطاع الرئيس أن يضايقك ؟ "

" كلا ، لماذا ؟ "

" لأس تجرات واهت سيدته المفضلة . ألا تعرفين أن أبير "رمذ" وأنها هي والسيد صديقان حميمان وهناك اشاعة أنهما سسروحان بعد انتهاء هذه الرحلة مباشرة ؟ "

" ان لا أهتم بحياة الناس الشخصية ، فإذا كان هذا هو كل ما تريد أن تخبرني به يا سيدة براسستون . فاسمع لي - الانصراف ، لان عمدي بعض الاعمال العاجلة . "

وأحرحت مجموعة من الأوراق ، ارتفع حفيفها وهي تقلب منها لكنه لم يظهر أي استعداد للانصراف ، بل على العكس ، هدد أراح نفسه أكثر في مقعده واستدار في اتجاهها ، وبادلها بفرحتها المتجاهلة بنظرات خافلة بالاهتمام .

" هل تعرفين يا تينا امك تثيرين فضولي حقا . "

وبهدوء واضح أخذ ينظر اليها ، منتظرا رد فعلها ، الذي حتر في جمعها لاوراقها ، وتحركها للانصراف ، لكنه هدد ساقيه بوبلين معلقا الطريق أمامها .

" حوت ، أريد المرور والانصراف . "

بلاشت انتباهته ، واتسعت عيناه الضيقتان ، وامتلأتا



بنظرة مهددة:

"أجلسي يا حبيبتي، ان هناك مواضع كثيرة يجب ان تبحثها."

"كلا.. واعلم يا برانسون ان وجودك يضايقي، واسمي لن أحمله دقيقة أخرى، فإذا لم تتركسي أسير في طريقني، فاسي سأصرح طالمة البعدة."

احمر وجهه، وانثني فمه. وهجأة، مد يده الى جيبه الداخلي، وسحب منه ظرفا، حركه أمام عينها وكانت ضربة. وسطاء جلست مكانها ثابتة، وارتفعت دقات قلبها من الارتفاع: ليس هناك خطأ، فما هو خطاها على الطرف الذي يمسكه بيده. ثيوبراستون هو الذي عثر على رسالتها الى عمته.

"من أين حصلت عليه؟"

"سقط منك يا حبيبتي هذا الصباح بعد الاجتماع. وقد التفتت له لأعيده اليك، ولكن كنت فضوليا أكثر من اللازم فاحتسبت نظرة الى الاسم، واستغربت! أليس ذلك غريبا يا عزيزتي؟"

قالت محاوراة: "ما هو الغريب هي أن يكون لعمتي الاسم نفسه الذي أحمله ياسيد برانسون؟"

"لا شيء يا حبيبتي، ولكن ذلك ليس اللفر كله. أليس كذلك؟"

"لعمري أي لفر؟"

"اسمعي يا عزيزتي تينا، رامون فيغاس ليس الوحيد الذي سمع عن كريستينا دونيللي، عالمة النبات المشهورة. لقد قمت أيضا بمعص التحريات، وعلمت أن الالسة دونيللي الحقيقية يقترب عمرها من الأربعين وليس العشرين. هل تصدقن اسمي لم لاحظ محاولتك أن تظهرني أكبر سنا من الحقيقة، قبل أن تقالي فيغاس؟"

وواصل حديثه في مرح:

"ولكن، حتى تصف شعرك بهذه الطريقة، لا يمكن أن يخدم رجلا، ويجعله يعتقد انك قد خلفت من المراهقة وراءك منذ زمن بعيد. ولذلك. هيا يا عزيزتي. أخبريني القصة كلها وأعدك بأن سررك سيكون في أمان."

تراجعت في مقعدها. لم تكن تستطيع أن تشعر بالثقة فيه، وكان كلامه الناعم الذي يحاول أن يخلطه بالاعزاز يلير حذرارها، ولكن ما الذي يمكن أن تفعله الآن، سوى أن تثق به. لم يكن لديها شك في أنه سيستعيد من سرها لتحقيق مصالح خاصة به، ولكن لم يكن لديها خيار، فهم ما زالوا على مهرة من مانوس ولا تستطيع المجارفة بأن تتركه يفضي سرها الى رامون فيغاس. كانت مهرومة تماما، ومن نظرات

استمار في عينيها، عرفت أنه يعلم ذلك، فتهدت في يأس، وفدت.

"حرك كل شيء إذا وعدتني بكتمان السر."

"هيا يا حبيبتي كلي أذان صاعية..."

وارتعش صوت تينا وهي تبدأ قصتها:

خبركت في هذه الرحلة متقصصة شخصية أخرى، لأن عمتي، وهي كريستينا دونيللي الحقيقية كسرت يدها في اللحظة الأخيرة، وكان علي أن أحل محلها حتى لا نغضب سير هارفي هسمان، عالم النبات الذي كان يعقد آمالا عريضة على نتائج التي ستعود بها من هذه الرحلة لا سيما وانني أنا سوري عالمة نبات متعززة، وقد عملت قريبة من عمتي، حتى نسي أعرف تماما ما الذي تبحث عنه، ولا يعرف هذا السر الا عمتي وأنا فقط. ولذلك فإني مضطرة للاحتفاظ بشخصيتي حتى نهاية الرحلة، لأن السيد فيغاس سيصيدني إذا

عرف الحقيقة . ولذلك أرجوك ياسيد برامستون أن تحتفظ بما  
صارحتك به لنفسك . أن وجودي هنا ضروري ، وتنكري لن  
يضير أي شخص ، أرجوك أن تعذني بالألا يعيدوني من حيث  
جئت .

القي برأسه إلى الخلف ، وامطلق ضاحكا وضرب على ركبتيه  
وقال :

"هل هذا هو كل شيء ؟ تمحص الحمل فولد فأرا ، كنت أعتقد  
أنك على الأقل هاربة من جريمة ما . . . . . سأحتفظ بسرك فلا  
نقلقي وسأكون حارسك طوال الرحلة وهذا يسعدني جدا ."

ولأكد سعادته ، جذب ذراعه حولها محتضنا ، ومن الركن  
الضيق الذي وجدت ثيما نفسها فيه ، رأب فيعاس يستدير  
غاضبا وانقدت نفسها من ذراعي ثيو وقالت -

"سيد برامستون ، إذا كررت هذا التصرف مرة أخرى ، فساخبر  
الجميع القصة كلها بنفسني !"

ومن الوميض الذي لمع في عينيها الخضراوين ، أنقر أمها  
تعي كل كلمة تقولها ، فقرر أن يعيد الهدوء إلى الموقف ،  
سحب ذراعه من حول كتفها ، وقال بلهجة البري : المظنوم :

"حسنا يا عربرتي سأفعل ما تريد ، لم يحدث أي ضرر ."

استلقت في مقعدها ، وأغمضت عينيها ، تاركة اليأس الذي  
كانت تشعر به يغمرها - هل حقا لم يحدث أي ضرر ؟

ولسبب ما لاحقت في خيالها نظرة رامون فيعاس العاضبة ،  
وكأنها تكذب هذه الكلمات !

## ٤ - المواجهة !



بعد نصف ساعة .

وقفزت من مكانها، وقد احمر وجهها، وجميع من حولها  
يسدو عليهم الرضى بما اسيط بهم من أعمال، والمكان حولها  
يسوح بالعمل . أما هي فلم تكن تعرف كيف تعد الطعام، أو  
حتى موعبة هذا الطعام الذي يجب أن تصعبه، ولم تكن تتصور  
نذا أنها ستسعد بسماع صوت ترابستون قربا منها، مثلما  
حدث الآن عندما سمعت صوته، فقد قفزت لمواجهته بارتياح  
عج .

قال لها عارضا خدماته:

"أشعل النيران، بينما تجمعين أنت الاطباق وأدوات الطهي  
سحبها جميعا في هذه الكومة هناك"  
"هل تعرفين كيف تصعين البوردج والقهوة؟"  
"نورج وقهوة؟ هل هذا هو كل شيء؟"

"هذا المساء فقط، ولكن لا تتظري هذه الرفاهية كل يوم  
بمبني . سوف يعيش على الارض، بضعة أسابيع قادمة ."  
"هذا معناه أننا سأكمل بعض الحيوانات، وديل التمساح  
سلوى، أو الأسماك الوحشية ."

"هناك ضحكة ساخرة واستطرد:

"كن ما استطع أن أعدك به، انني لن أتركك تأكلين طعام  
موسين هنا المصنوع من الديدان والثعابين! خلال أي يوم  
من أيام الرحلة ."

"شعرت تيبا بالارتياح بعد أن استطاعت خلال نصف ساعة  
من عمل السريع المكثف، أن تنتهي من اعداد الطعام، وألقت  
بعدة أحجرة على القدر الموضوع فوق ميران المعسكر، ثم  
حص عدد الاطباق لتأكد من وجود العدد الكافي لكل هؤلاء  
سرحال الذي انتهوا الآن من اعداد المعسكر، وبدأ

كان الغروب قد بدأ يلقي ظلاله الأولى، عندها وصلوا الى  
توبوروكوارا، أول استراحة لهم في رحلتهم، وكان الرورق  
المخلق قد سار بهم بسرعة هائلة بفعل القيادة الماهرة  
للكابتن جوزيف روجرز، الذي نجح في عبور المنحدرات  
الهائلة، والمناطق التي امتلأت بالعشائش التي تعلق أمامهم  
أبواب النهر . حتى وصل بهم الى استراحتهم الأولى .

وبمجرد أن ارتفع صوت أزيز المحرك وهو متوقف، تدهم  
الجميع للخروج من الرورق في لهفة تخلصاً من الجو الخافق  
الحار الذي عابوا فيه طوال الساعات الأخيرة من الرحلة .

وقفت تسبا على سياج الرورق، وجاهدت لاستنشاق بعض  
السمات، ونظرت حولها . كان المكان متسعا، اختاره رامون  
قياس بنفسه في إحدى رحلاته السابقة، وقد أحاطت به  
الأدغال من جهات ثلاث . وعادت بها رائحة المبات، وبسبب  
الأدغال، والمناظر المألوفة، الى الماضي، ووقعت مترددة،  
عارفة عن ترك الزورق الذي شعرت فيه بالأمان، حتى  
استدعى الامر صرخة أمرة من رامون فيعاس لتخرجها من  
خوفها .

"تحركي بسرعة يا أنسة، سنكون في انتظار الطعام

المكان ساحرا على أضواء البيران، والعصايب التي أحضرها الرجال لاستعمالها في مناطق عملهم، حيث كانوا يعملون، تنفيذا لأوامر رامون فيغاس بتنظيف الأرض من أي حشرات تتناثر حولهم، وإقامة الأسرة المعلقة بين الشجر لساكنيها عليها.

وحاولت تينا أن تبعد عن ذهنها الساعات الطويلة التي ستقضيها فوق سريرها المعلق منتظرة أحطارا داهمة لا تعرف عنها شيئا، وركزت تفكيرها في العمل الذي تقوم به، قائلة لنفسها أنها يجب أن تعيش الحياة لحظة بلحظة.

وضاعت كل مخاوفها، عندما أحاطت بها قبيلة من الرجال الجائعين، طالبين الطعام، وبسرعة، ملأت الأطباق بالبوردج والأكواب بالقهوة ذات الرائحة الشهية، وهي لحظات كانت نيران المعسكر قد أحيطت بدائرة من الرجال يتحدثون في كل شيء، مسرورين بهذه الوجبة البسيطة الشهية.

وكانت أمير غارسيا تحلس قرب رامون فيغاس، أما تينا فقد أهدت طبقها واقتربت من المجموعة لتجد برايسون جحر لها مكانا محاوره، فالتفت نحوه، وقد أعجبها أنه احتار مكانا بعيدا عن الباقي، رغم أنها كانت راغبة في صحبتته، ويبدو أن أمير أيضا شعرت بالارتياح لبعدهم عنها، فعندما ألقت تينا عليها نظرة سريعة، لمحت بريق الانتصار، والرضى الخبيث، واضحا في ابتسامتها. وأشاحت تينا بوجهها بسرعة، فقد كان ملطحا من البخار والمجهود الذي بذلته في إعداد الطعام، بينما أمير غارسيا تلمع بالراحة والنظافة، وهي تأكل بشهية من الطعام الذي بذلت الجهد والعرق في إعداده، وشعرت تينا بالظلم، فمهما كان العمل الذي كلفت به أمير، فإنه بلا شك لا يستدعي منها القيام بأي مجهود، فهي جميلة ورائعة كالعادة.

ارتفع صوت حوك سوبدرز الاسكتلندي مخاطبا القائد: "من أنت راص عن الرحلة التي قطعناها يا سيد؟ هل سبقي هنا لبدأ في دراسة مشاريعنا أم ستتحرك غدا؟"

وصمت الجميع انتظارا لرد رامون فيغاس الذي قطع محادثته مع جوريف روجر ليرد على سوبدرز. "كان هذا ما أناقشته مع جوريف روجر وقررنا ألا نبقى هنا مدة أطول من الضروري، خاصة وأنا جميعا نشعر براحة أكثر عندما نعبر دوايات سابايريل الرهيبة ونتركها وراءنا."

ورد هلكس كريللي الكلمة متسائلا:

"من هي رهيبة بالفعل؟"

"نعم، إنها تبدأ بعد أميال قليلة من هنا. وخطورتها في أنها بعد مسافة طويلة، فهي تسعة عشر دوامة سريعة رهبة. عند مضيق نهر السفرو، ويمتليء بالصخور الضخمة والحادة ستتر هذه الدوامات معها، وهي ليست أخطر ما ستقابله في رحلتنا، فهناك ما هو أخطر منها ينتظركم في نهر أورينوكو، شيا تمثل العقبة الخطيرة الأولى في رحلتنا، وهي تنحدي تحذره كل فرد هنا."

و مع بدء طالبا الصمت من الجميع

وسريعة تلقائية، شعرت تينا بالتوتر. فخلال الصمت سمعت صوتا كأنه هدير الرعد يرتفع فوق الأشجار العملاقة، مدد من الصوت، أنه اندفاع المياه الرهيب وتوقف قلبها عن حرقان. ترى، ما هي المخاطر التي يمثلها هذا الصوت؟ قالت أسر.

"كما سيكون في أمان طبعنا ونحن في الزورق يا رامون؟" وعلقت عيناها بوجهه وهي تنتظر الجواب، وبقي فمه م. ما. لكنه وضع يده على يدها وضغط عليها مطمئنا ثم قال:



"أعتقد أن جوريف يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال أكثر مني، مصيرنا مرهون بمهارته وحكمته!"

وتحرك جوزيف قلقا، وعينه تلمعان وهما يحومان حول دائرة الوجوه الغلقة:

"قد يقلب بنا الرورق وسط الدوامات، وسوف تكون الصخور وبقايا الحرر الخطرة خطرا رهيبا اذا سقطت فوقنا. وهذا خطر يقلقني ولكن أنا متأكد أننا سننجح."

وأشاع شعوره بالثقة ارتياحا بين الجميع، واستراح جسد تيميا المنوتر، وبطريقة غريبة استطاع روجرز بصوته المواتق الهادئ المتعائل أن يجعل كلا منهم يشعر بأن هذه الكوارث التي تحدثوا عنها، لن تحدث أبدا.

وبدأت الأحاديث تستقطع أثناء تناول الطعام، فقد كان الرجال مرهقين وبدأوا ينسحبون واحدا بعد الآخر إلى أسرهم لينالوا أكبر قسط من الراحة قبل اليوم التالي الذي ينتظرون فيه الكثير من الأحداث، حتى لم يبق غير رامون ومعه ابيز، وبرستون مع تيميا يواجهون بعضهم البعض عبر النيران. وتجاهل برامستون أعراض التعب والارهاق التي بدت واضحة على وجهها، وحاجتها الشديدة إلى النوم، حتى أن رأسها كاد يسقط على صدرها أكثر من مرة، وأصر على أن يواصل أحاديثه وبينما كانت هي تفكر في أكوام الأطباق والأواني التي كان عليها أن تظفها قبل النوم، كان برامستون ما زال مصرا على أن يستمر في استعراض مغامراته وتجاربته في رحلاته المختلفة. وأصبح متعدرا على تيميا أن تمنح عينيها، ويبدو أن السيد رامون كان مشغولا عن رفيفته بملاحظة برامستون وتيميا، لدرجة أن صوته عندما تسلسل عبر المسافة التي تفصلهما ارتعدت، وكأن سهما جيد التصويب انطلق إليها.

"يا أسفة هل يجب أن أدرك بأن عليك عملا يجب أن تؤديه؟" وقفزت بطريقة لا ارادية عندما سمعت صوته الأمر، لكن لأرهاق منعها من أن تجيب فورا، وهزت لحظات قبل أن تجمع أفكارها لتزد، ولكن وبطريقة مستاءة، تولى ثيو الرد:

"أساعدها، فأنا لن أسمع لتيفا بأن تقوم بكل هذا العمل وحدها!"

وسجده متحهم أشار إلى أكوام الأطباق والأواني المتناثرة. ونعسن ضيقتين مصوبتين بكل اصرار إلى برامستون، قال رامون:

"سأدو أنك لم تسمع ما قلت يا برامستون، لقد أصدرت أمرا متحدا، بأن على كل فرد منا أن يقوم بواجباته بنفسه، قلت سي لن أحمل معي سياحا هل تذكر؟ انني أعني ما أقول، ان

الأسفة دوسيلي وقتا كاهيا للقيام بأعمالها، ولكن بما أنها بفضل قضاء الوقت في الثرثرة معك، فعليها أن تتحمل

سود وحده برامستون غضبا، وارتعدت تيميا وهي تراه وقد حكم قبضته وكأبه يستعد للهجوم على الرجل! وهمست بسرعة:

"فوت بالنبوءة... أيا لا أحتاج إلى مساعدتك، الحقيقة أنني مصرة على القيام بواجباتي بنفسي!"

ورعبت رأسها باظرة إلى ابيز التي لم تكن تخفي سرورها من شاهده وقالت:

"كفي وجود شخص واحد مدلل في الرحلة!" ودهلت ابيز لهذا النقد، وقبل أن ترد يادر فيفاس إلى تدخل وقال:

"سأدو أن دوسيلي متعبة، وبما أنه من السهل إثارة

غضها حتى هي الظروف العادية، هم الأفضل يا أمير - أنت  
والسيد برانستون - أن تأويا إلى فراشكما الآن.

ونقل بصره إليها وبين برانستون. ومع أن كلامه كان يبدو  
وكأنه طلب، إلا أن لهجته كانت كالامر الصارم وبادرت أمير  
باطاعة أمره فقالت:

"حسباً، أيها العزيز رامون."

واضحت رأسها نحوه، وهضمت بحماسة ماعمة باللمعة  
الاسماوية.

"طابت ليلتك كارامورو."

ولاح شبح ابتسامة رقيقة على هم رامون المتوتر، لكنه  
عندها استدأر لبواحه برانستون، كان تعبير وجهه قاسماً  
كالجبر.

"وأنت يا برانستون؟"

وتكهرب الجو وواحدتهما يواحه الآخر في صمت وانهمر  
العرق غزيراً يفرق وجه تينا وهي ترى عيونهما تلقي في  
تحد، ولم تعد تحتل الأفعال أكثر من ذلك فهمت.

"أرجوك يا تينو، اعمل ما طلبه منك."

وعصب تينو، وألقى نظرة تهيب بالكراهية على رامون، ثم  
استدأر على عقبه وتركهما وحدهما.

\*\*\*

كانت يدا تينا ترتعشان وهي تجمع الأطباق، وكان فيعاس  
يقف في الظلام، خارج مجال الضوء الذي يبعث من

جنايب الصغيرة، وهو يراقبها وكان الموت أفضل عندها،  
من أن يرى تعاستها وضعفها بعد ما حدث.

ولم تصدق نفسها وهي تستمع إلى صوته الذي يقبض  
- برهة، فليس هذا أبداً هو صوت هذا الرجل القاسي، قال:

"- أئمة يبدو عليك الإرهاق، دعيني أساعدك."

ومسحتها المعالجة من الكلام، وحتى عندها امتدت يده  
سحراء القوية لتأخذ الطبق من يديها المرتعشتين، بقيت لا  
صدق نفسها، وظلت وهي مبعدة رأسها، بشعرها الذهبي  
مرفوع إلى أعلى، تعمل وهو إلى جانبها، حتى انتهى تنظيف  
آخر طبق دون أن تطلق حرف واحد، أو تلقي نظرة إليه، ثم  
سذارت لتذهب. وامتدت يده للقبض على ذراعها بقوة  
وحملت عيناها المتساءلتان بنظراته الرقيقة وسألها:

"أئمة دوميلى، هل تغفرين لي؟"

"- ائمة أعفرك لك يا سيد؟"

"- هذا العقاب طبعاً لقد استثارتي طريقتك الاسكليزية  
جمالة، فوضعت على كتفك الرققتين هذا الحمل الثقيل!"  
وسهفت أنفاسها بتأثير هذا السحر غير المتوقع الذي يصدر  
منها، وعندها ابتسم، شعرت بشيء ما هي داخلها يدفع قلبها  
سرعاً إلى الاتصاف بجادبيته، وشعرت فجأة بالاضطراب،  
منها مفعمة باحاسيس حارة تندفق من تأثير أئمة أصابعه  
من ذراعها، ولم يكن هو يشعر أبداً بهذا التأثير الخطير الذي  
حدثه في نفسها، كانت نظراته الآن كنظرات طفل صغير  
من طلب الفجران. فقد فجأة سلطته، أصبحت لمساته  
عند وحانية، كما تكون لمسات القوي عندها يحنو على  
ضعف.

كرر تينا كانت تشعر أن قوته هائلة، يحب أن يهرب



منها كما تهرب من كل خطر مجهول، فتخلصت من قبضته، وأخذت تخطو إلى الوراء بسرعة، حتى انتهى الطريق بشجرة ضخمة، فبظرت حولها يائسة تبحث عن طريق للهروب، عندما تحرك هو إليها وسحابة من الدهشة الحقيقية تعطي وجهه، وقال لها بهدوء:

"هذه هي المرة الثانية التي تهربين فيها بعيدا عني يا أمة. ما الذي يضايقك مني؟"

كما قد تحركا بعيدا عن مجال الضوء، ولذلك احتسب عليها ليتأمل جيدا هذا الحزن الثقيل الذي يلقى ظلاله على وجهها الأبيض وعندما اقترب منها ضغطت على جذع الشجرة الضخم، وكأنها تبحث في كتلتها الصلبة طريقا للهروب، ولكن، ليس هناك مهرب من نظراته الفاحصة، وحتى هذا الظلام الأسطوري الكثيف، في الليل الأسعوي، لم يستطع أن يخفي الخوف والرعب من عينيها الواسعتين.

"هل أنت خائفة مني؟"

وسدنتها لهجته، وسارعت إلى الإنكار:

"لا طبعاً لا."

اقترب منها ووضع يديه القويتين على كتفيها فشعرت بالنار تندلع في جسمها من لمسته، خلال القمص الخفيف الذي ترتديه، بينما الانفعال يدفعها إلى الحذر.

"أذن لماذا أشعر كلما نظرت إلي كما لو أن أحد الحيوانات الأسطورية ظهر لطفل في أحلامه. لماذا تعكس عيناك كل هذا الخوف؟ ما زلت إلى الآن تريد إنكار هذه الحقيقة."

نظرت إليه بحرج وهجأة سألتها وقد اكساب وجهه:

"كم تبلغين من العمر؟"

"هذا ليس من شأنك يا سيد."

"تخطئة، فهذا من صميم عملي، يجب أن أعرف إذا كان من يرحل معي خبيراً في الرحلات أم لا. وأنت يا أنسة نوسيلتي، لا يبدو أنك في سن تسمح لك بالذهاب حتى الآن إلى أكثر من صفوف المدرسة."

كان يتحدث بقوة، لكن نظراته عكست عدم تأكده مما يقول. وألقت تيباً برأسها إلى الخلف، وبظرت إليه بترفع - رد، ثم قالت:

"عمت رحلات عديدة يا سيد، إلى معظم أقطار العالم، وخلال كل أنواع المخاطر والأحوال المختلفة، وهو العديد من حياطي الصعبة."

وشعرت بالثقة، فقد كان كلامها صادقاً وثابتاً كلامها حريص من اقناعه:

"سأخبر أنه ينبغي أن أحمل كلامك عن سني على محمل جدية. ولكن، أرجوك..."

أحد صوته، هي محاولة للدفاع عن نفسها، والهجوم على هذه الهائلة في نفسه:

"أحاول أن تقوم بتجاربك لتؤثر على بسحرك اللاتيني، سيد نخدي محصنة ضده تماماً، وأقترح عليك..."

وهنا تحولت لهجتها إلى البرود الكامل لتنهى كلامها:

"كنت تشعر بأنك في حاجة دائمة إلى وجود العنصر البشري معك. فيجب أن تركز جهودك على الآيسة انيز محبة..."

مصر وجهه، وإن لم يظهر شحوبه في الظلام، ولكن ضغط صمعه على كتفيها عكس الغضب الذي يهوج في نفسه، سمعاً تحملت هي الالم وكأنه عقاب على وقاحتها وأغمضت عينيها، وهي تمنع نفسها بصموبة من إطلاق صرخة تحطم

بها السكون الذي يحيط بهما ..

كانت تعرف أنه إذا تكلم، فسوف تكون كلماته كلها شتائم ولعنات .. ولكن كان أسهل أن تحمّل احقارها، من أن تدعه يكشف مبلغ الاضطراب الذي يثيره في كيانها . فان رحلا قبله لم يكن له هذا العذر من الحادثة التي تحبسه نحو رامون فيعاس . سبق لها الخروج مع بعض الرجال، ولكن لم يكن لأي منهم أي تأثير عليها إذا قورن بهذه المشاعر التي تنبأها بمجرد أن يلمسها .

وارتعدت . وعندما تكلم، تداعى قلبها حرنا وألما لهذه الهزيمة البادية في كلماته القاسية .

"يا آسة، لقد أقبعتني . لم يعد مظهر شابك الحادع بقلقي، ان لسابك الحاد كهيل بتهنئة الحماية الكاملة لك، ولن يعاني من أي مشكلة مع أحد من الرجال، وإذا كنت قد ساهرت كثيرا فاعتقد أنه لم يعد عيدي شك في أنك ستحسبين التصرف، وأعتقد أنك لن تجدي في كلامي لك أي مدح أو تملق، ولتكوني على ثقة من أنني أنفذ ملاحظاتي بكل دقة، وأعدك بأنك لن تشعري بعد اليوم بأني شخص حذاب ."

ثم تركها واحتفى في الظلام . وعندما استلقت في سريرها المعلق، وقد التفت حولها شبكة من القماش الخفيف تحميها من البعوض، لم تكن تفكر إلا في شخص واحد: رامون فيعاس، الرجل الذي يخفي وراء قسوته كل هذه الرقة وهذا الحنان، وللمساته التي أشعلت ميرانا في عواطفها ما تصورت يوما أنها ستوقظها بكل هذا العنف . هذه العواطف التي يجب أن تختفي تماما قبل أن تصبح موصفا للخطيئة، سواء من رامون نفسه أو من أئزء التي سيسعد بها أن تعرف هذه الحقيقة . مهما حدث، يجب أن تستبعد دائما عن

طريق فيعاس، إذا أرادت أن تحتفظ لنفسها بهذا الوقار الذي سطره .

في اليوم الثاني شعر أعضاء الفريق بشوق لبداية المرحلة الثانية من رحلتهم، ولم تكن تينا هي حاحة لمن يدعوها إلى مغفقه، وإلى ترك هذا السرير المعلق، بعد ليلة أخرى من يوم المتقطع، الذي صاحبه اعتيادها بأن العمل، أي عمل، هو راحة بالمسة إليها . ولذلك، فعندما استيقظ الجميع صاحوا بهذه الرائحة الحميلة للقهوة، ورغم أن شهيتهم لبس أقل من الأملس، إلا أنهم رحبوا بحرارة بهذه الأطباق الشهية من البوردج .

"ملأت بالفخر لعبارات الإعجاب التي اعدقوها عليها، يا آسة لطعامها الشهى، وهم الذين كانوا في دهشة من سب إلى الوحدة، مع أنهم ما زالوا يرحبون بها لتنضم إلى صد المجموعة التي توطدت بين أفرادها روح الصداقة ."

قد أصبحت معروفة بينهم الآن باسم "العروس الثلجية" . هو صبر من كثير من التعبيرات والملاحظات التي تعبر عن رجال فيها، والتي كانت تستمع إليها في ألم، في حيرة الأمر ففكرت في أنه لن تهملها ما يساورهم من ظنون عمة مجرد مجموعة من الأفراد لن تراهم مرة أخرى بعد نهاية حدة، ولكنها الآن تشعر بأنها ضائعة، غير مرغوب فيها، سب ووحدة تماما، ومع أنها كانت تعرف أنها هي التي سب كل هذا، وأن الخطأ خطأها هي، فهي التي رفضت كل صفة عرضت عليها، ولكن ذلك لم يحل دون أن تشعر بالالام حصة الوحدة .

بعد العطور، خلا المكان مرة أخرى تماما، ولم يعد



هناك أثر يدل على أن القوم كانوا فيه والمعدات القليلة التي  
أرسلوها من القارب عادت مرة أخرى اليه، وبدأ رورقهم الطائر  
في الانزلاق إلى الماء وهم في داخله، وساد الصمت تماماً  
واحتسقت الأصوات في صدورهم، بمحرد دخول الكابتن روجر  
إلى غرفة القيادة، ونشبت تينا بدراع مفعدا وهي تشعر  
بأصوات المحركات ترفع، وكانت كل لحظة تحمل معها خوف  
حديداً، وشكوكاً مترايدة حول الأخطار المحتملة لكنها تنفست  
بارتياح، وأرضى جسدها عندما استقر المركب مرة أخرى في  
الماء، وسمعت صوت هديره

وشعرت بكل متاعبها تثقل كاملها، وتحت وطأ أعصابها  
الموترة، والنوم الذي قاطعها في الليالي السابقة، صعد  
رأسها على ظهر المقعد وهي تراقب الإخراج التي لا تنتهي،  
حتى أصبحت كتلة خضراء بلا نهاية، وصمت الجميع، وهم  
يتصورون الأخطار التي سيواجهونها بعد ساعات قليلة  
عندما يقام المعسكر، يكون لكل منهم عمل كاف يشغله، أما  
الآن فليس هناك ما يفعلونه سوى الانتظار.

وتحولت أفكارها إلى عماتها. كانت تعرف أنها تنوي أن  
تتابع تقدم البعثة يومياً على خريطتها، فقد حفظت خطط  
سيرهم عن ظهر قلب. وشعرت تينا بالحرارة وهي تحس بأنه  
بالرغم من البعد عنها، فإن عماتها معها في كل خطوة تخطوها  
في رحلتها.

وكانت الأيام الأخيرة التي سبقت رحيلها ثم وصولها إلى  
هاوس مشحومة بالقلق، لدرجة أنها لم تستطع أن تستوعب  
كل التعليمات التي كانت عماتها توجهها إليها. وكان الخوف  
يشغلها حتى أنها لم تعرف حقيقة ما تحتويه هذه التعليمات.  
لكنها الآن وهي تسير فعلاً في قلب الأمازون، في

بحاء مخاطر "كارينكوبر"، بدأت الذكريات تضغط عليها..  
واعتقت عينيها هي محاولة لاستعادة ما قاله لها عماتها،  
بشكل فشيئاً بدأت الصور تتداعى في مخيلتها، حتى  
سطاعت وبالتدريج أن تسترجع كل ما قيل لها:

..صبت إلى كيو وبطريقة غير معقولة، ومن بين آلاف الأميال  
من الكروم الكثيفة اشاعة تقول أنه في مكان ما في أعالي  
جبل أورينوكو يعيش واحد من المواطنين الذين لم يتلقوا أي  
مسح من المعلم، ويعرف بأنه أحد أطباء الأعشاب، وأنه  
يبيع المرضى بمرض المقرس بدواء مصنع من الأعشاب،  
محصلة من نبات "الكاسيا" الذي يطلق عليه المواطنون اسم  
"العينين".

كان من الأجلام الخاصة للعلماء، بما فهم عماتها كريس،  
يعتروا على علاج لواحد من أكثر الأمراض إيلا ما للإنسان،  
هو مرض المقرس. ومع أنهم كانوا يتوقعون اكتشاف هذا  
..، إلا أن الأمر بالنسبة إلى تينا لم يكن يعني أن تبذل  
.. ليعثر على هذا الطبيب. لقد كانت المغامرات والرحلات  
.. بالنسبة إليها هذه الأهداف التي كانت مهمة بالنسبة  
..، التي كانت بالنسبة إلى عائلتها ولكن تينا وجدت  
هذه أن فكرة تحقيق الشفاء للإنسانية بالعنور على علاج  
.. المساكين الذين يستغيثون من المرض، تثير فحاة أمام  
مسئلتها لتصبح هدفاً مثيراً. وفحاة، وجدت نفسها قلقة على  
.. السمعة العظيمة التي حققتها عائلتها في حربها ضد  
..، وتركز الضوء عليها ليظهر أنبيتها وعدم فهمها  
.. الكبير الذي قامت به عائلتها نحو هؤلاء الذين كانوا في  
.. إلى المساعدة، وغمرها شعور بالخجل من هذه  
.. ديس التي اجتاحتها في طفولتها والتي صورت

لها أن عائلتها كانت تعضل المعامرات والرحلات على تهينة  
الدو العائلي والاستقرار هي طفولتها، وكأنها فراشة تحاول  
الطيران للمرة الأولى! وقد حاولت للخروج من عقدها الخاصة  
لتكتشف عائلة جديدة عظيمة. كانت فحورة بهذا الاكتشاف  
وشعرت بدافع قوي لأن تتبع خطواتها، وهجاء مبدد كل السبع  
والأرهاق الذي كان ينتابها، عندما فكرت في العائدة التي  
ستعود على آلاف المرضى الذين يعانون من الآلام المبرحة.

كانت عمته كريس تشكو دائما من عدم اهتمامها  
بإكتشاف المباتات، وكانت تستغرب اهتمام هذا النوع من  
الاهتمام في فرد من أفراد العائلة التي اقترنت اسمها  
بالمعامرات ولكن تيمًا، أدركت أنها كانت قادرة على هذا  
العطاء، الذي كان كاميا في نفسها، وربما كان خافيا عنها  
نتيجة لهذه الطفولة النعسة، ولإجلامها الرهيبة، والحدرد الذي  
كانت تشعر به، ولكنه كان دائما موجودا في باطنها،  
وأدهشها هذا الاكتشاف: هل هو نوع من الاتصال الروحي؟ هل  
كانت كريس برغم هذه الأميال التي تفصلها عنها تتحسس  
للتأجد الخيط الذي تركه عائلتها، وتتابعه؟ وأثناء البحث عن  
إجابة لهذا السؤال، تولد تصميم في داخلها، تصميم يحلها  
على بدل كل جهد للعثور على طبيب الأعشاب.

وتذكرت جيدا، لقد أخبرتها كريس أن هذا الطبيب يعيش  
مع قبيلة تدعى "جواها رمبوس". وبما أنه ليس هناك دليل  
قاطع على حقيقة هذه الإشاعة، فقد كان عليها أن ترحو  
رامون هيغاس أن يغير من طريقه العرسوم. وارتعدت تيمًا،  
عندها فكرت في أنها ستحتاج إلى طلب المساعدة من رامون  
الذي يبدو شديد الغضب منذ ليلة الأمس، وهو يتجاهل وجودها  
تماما، والذي كانت تصرفاته وتصرفيات وجهه

عاضة والصارمة مثار تعليق الرجال طوال اليوم. لقد علق  
مكس كريالي على ذلك بأن هيغاس يعيش حالة من القلق،  
حيث أنهم من أخطار الدوامات القادمة، لكن تيمًا كانت  
شعر بالذنب والمسؤولية عن هذه الحالة المهيبة السيئة التي  
عسي منها منذ الصباح، وكانت في حاجة شديدة إلى  
شجاعه للتقرب منه. ولكنها كانت متأكدة أنها ستقدم على  
شيء إذا ما واصلت الفرصة، فإن الكرامة الجريئة يجب ألا تقف  
دعًا أمام خبر الانسانية.

والقى براسون مجسمه الضخم على المقعد المجاور لها:

"هي بدأت تشعرين بالخوف يا ديمتي، انك تبدين كما لو كنت  
في انتظار كارثة".

ونفى هذه الخشمة المغطاة بالشعر الأسود الكثيف على  
شعبها، وواصل كلامه:

"و مدعي تهديدات رامون تخيفك أو تضايقك، فاما هنا يا  
دمتي".

وسمعت تيمًا وعيها، تاركة خططها وأفكارها، وكانت  
قد أنها منه نظرة المدهول الذي لا يعرف شيئًا. ولم تفهم  
سبب الذي من أجله يحاول إعادة الطمأنينة إليها إلا في  
حظة التفاتها إلى جانب الرورق، ورؤيتها للششاط المتزايد  
حسب. لقد عاشت طوال الساعات السابعة وبظراتها معلقة  
بهد الكروم التي تمتد إلى ما لا نهاية في بعض الأحيان  
شبه قريبة لدرجة أنها تستطيع لو مدت يدها أن تصل إليها،  
هي أحيان أخرى كان النهر يتسع حتى أنها لا ترى أي ظل  
تصر على الإطلاق. ولكن، في كل الأحوال، سواء كان النهر  
صبيا أو ضيقا، فقد كان يجري في هدوء خامل، متحفا



بهم إلى هدفهم. أما الآن، فقد نظرت حولها مضطربة، لترى القلق يسيطر على كل الوجوه حولها حتى على هذا الوجه المقاسي، وجه كارامورور. فقد كانوا يقتربون بسرعة من منطقة الدوامات الرهيبة، وملا الرعب عينيها وهي تنظر بعيدا إلى النهر الذي تحول إلى كتلة من الريد الأبيض تهدر مندفعة في طريقها بين حاجتين من الصخور الخادة كالموسى، أو كتل الصخر الضخم الرهيب التي تعترض طريق الأمواج الرهيبة التي ترتفع ثلاثة أمتار وأربعة لتصطدم بالصخور في عصف وتعود لتصطدم بزورقهم وكأنها تسلمهم من عائق في النهر إلى آخر. ولم تتصور تينا أبدا أن زورقهم المسكين يمكن أن ينجو من هذه المياه الرهيبة. ونضاعت محاولتها عندما اقتحم القارب الصغير أول كتلة من المياه المندفعة والتي انتهت حوله في قوة رهيبة.

وفجأة، توقفت أصوات المحرك، وقبل أن يتكلم أحد، اهتز الورق مرة قوية، جعلتهم جميعا يترمحون فوق كراسيهم قبل أن يتوقف تماما، وكأنه قد سقط بين برائن شلال خطر. والعريب أن أحدا لم ينطق بكلمة، ولم يصدر عنهم أي صوت، وإنما أمسكوا جميعا بمقاعدهم، وتعلقت أنظارهم بجوزيف روجرز وفيعاس، وهما في غرفة القيادة يجاهدان حتى لا يقلب بهم الورق، وبعد ثوان طويلة من الامزعاج، بدأ صوت المحرك يعود إلى الحياة، وعاد هديره يرتفع بهم فوق زبد الموج الأبيض.

وعندما شعر البحارة بأن الطريق أصبح واضحا أمامهم الآن، أدركوا أنهم تحاوروا فعلا دوامات سمابريل وراءهم، هادقوا جميعا إلى غرفة القيادة ليخدموا التهامي الحارة إلى جوزيف روجرز الذي وقف سميحدا الآن ومعه رامون

فيعاس، الذي بدأ مرتاحا.

وقامت تينا بحركة لتشاركهم التهئة، وتبلمعهم شكرها وأعدائها بهذه الطريقة التي استطاع بها الرحلان أن يعبرا ما تصورت أنه المستحيل، لكن ثيو براستون مد يده ليمسها، وعبر صوته عن الفيرة والحقد وهو يقول:

"أنت أيضا تخضعين لسحر هذا البرازيلي."

ولم يذكر أبدا ما حدث بالأمس. وتصورت تينا أنه قرر تجاهله، لكنها عرفت الآن أنه لم يمس أبدا، وأنه أغلق قلبه على دروة الحقد والكراهية، للرجل الذي أجبره على

الاستحباب.

ومعتمت وقد ارتفعت الدماء إلى وجهها:

"كنت أدري ماذا تقصد."

"أنا سأقول لك بكل وضوح."

قالها بصوت ساخر، وأدار لسانه حول شففيه المكتنزتين كالصياد عندما يواجه فريسته التي لا حول لها ولا قوة، لدرجة أنها ارتعدت من الخوف:

"في المستقبل، أتوقع منك أن تعاطبني بطريقة تجعل رامون وعصائنه يعتقدون أننا أكثر من أصدقاء."

وامتنع وجهه عفا، عندما لاحظ أنها تستعد للاعتراض، فاشتد صوته قسوة وقال مهددا:

"إذا لم تخضعي لهذا الاتفاق، فلن أتردد أبدا في إعلان حقيقتك أمام فيعاس أمك زائفة، وغشاشة ومحتالة صغيرة."

ورفعت تينا رأسها، ولم يبد على صوتها أي دليل على الاضطراب الذي تعانیه، وقالت:

"سني متأكدة من أنك تستطيع أن تفعل ذلك، وأنت ستكون سعيدا أيضا وأنت تقوم به، فليس هناك شك في أنك

معتاد على التجسس على الناس، ولكن ما رأيك إذا طلب  
الك أن تقوم الآن وتعمل ما يحلو لك؟ ما الذي أخاف منه  
الآن؟ لقد أبحرنا بعيدا، وليس هناك طريق للعودة الآن، ولا  
أظن أن رامون فيغاس يغامر بالعودة بي فوق الدوامات  
الرهينة، خصوصا إذا عرف أن بقائي معكم هو في الواقع  
عقوبة لي، أشد من العودة!

وضيق برامستون عينه وهو ينظر إليها، بينما واصلت هي  
المقاومة.

"وما رأيك في صورتك أنت في نظر الباقيس عندما يعرفون  
أنك تبتزني وتهديني؟"

وأقلت بسهمها الأخير، مستطردة:

"سيعبدوك عن أية رحلة طوال حياتك، خاصة عندما يصبح  
عملك هذا معروفا من الجميع."

"أنت تفرحين يا ديميتي، لماذا لا تعترفين بالهرمة وتخضعين  
لشروطي؟ لن تتحملني أبدا أن يشك رامون في حقيقتك  
شخصيتك، في كل حال، أما لا أطلب منك أكثر من أن  
تسديني بصحبتك، وابتسامة أو اثنتين فما المانع من قبول  
هذه الرغبة، كثيرات من السيدات يتمنين ذلك؟"

وبينما كان هو يحد نفسه، كانت تبدأ تحاول جمع أفكارها  
العشوشة! أنها تكره الرجل وشعره لمجرد لمسة منه، ولكن  
إذا كان كل ما يطلبه منها هو مجرد الصداقة، فمن الغباء أن  
ترفض ذلك. وأخذت تذكر نفسها، كيف كان وجوده بالامس  
معها مفيداً لها، وربما احتاجت إليه وإلى خبرته خلال الاسابيع  
القادمة في قلب الأدغال، حتى يمكنها أن تتجنب الأخطاء،  
وأن تستمر دون أن يظهر منها ما يفضح عدم خبرتها. والأهم  
من ذلك، يجب أن يظل صامتا، فكيف يمكن أن تتسمع

رامون فيغاس بمساعدتها في العثور على طيبب الأعشاب، إذا  
عرف حقيقة شخصيتها المريبة، وأيضا فإن الدوافع الجديدة  
في ولد في نفسها أخيرا ليست كاهية كي تطرد مخاوفها  
تماما. وعلى ذلك فإن صحة ثيو برامستون برغم من أنها لا  
تريح بها قد تكون خيرا في بعض الأحوال. واتخذت قرارها،  
بشعرت بأنها في حاجة إلى شيء من الدبلوماسية كي تتحدث  
به. ابتسمت وقالت:

"حسنا أنتي أقبل اقتراحك مقابل عدم التحدث عن حقيقتي  
في رامون فيغاس، ولكن..."

وأضاف نصف، عندما لاحظت ابتسامة الانتصار على  
وجهه، ومحاولة للإمساك بيدها:

"سأبرامستون، ليس في نيتي إطلاقا أن أسمع لك بأن تأخذ  
حريتك في التصرف معي. يجب أن تذكر ذلك جيدا..."

"دا كنت قد وافقت على صداقتي، فما رأيك في أن تبدأ بأن  
ساميني باسمي الأول ثيو..."

وأجبت رأسها موافقة، أن كل أعضاء البعثة رفعوا الكلفة  
في ما بينهم، حتى رامون صار يتعامل معهم بالطريقة  
التي يحبونها، وينادونهم جميعا باسمهم، ما عداها هي، فقد كان  
تصرعها الشديد من التجارب مع المجموعة لا يشجع أحدا على  
"فتراب منها، بل بالعكس، كان يسبب لهم الاضطراب."

وهجأة سمعت صوت لاسية ابير، رفعت رأسها بسرعة،  
مر ما واقعته تنظر إليها، وبجوارها رامون فيغاس.

قالت انيز بلهجة هازئة:

"ما رأيك يا رامون. ألا يبدو عليهما الاسجام؟ لن تكون  
معداة لو أنما انهيها هذه الرحلة بحفلة زفاف..."

وأطلق ثيو ضحكة صاخبة، وانحنى ليمسك بيد



تينا ، وضغط عليها ، فشعرت بالعضب ، واضطرت الى الصمت ،  
والى احتمال نظرة التحامل الباردة التي ألقتها عليها رامون  
وهو يقول :

"هل شعرت بأية متاعب ونحن نمر الدوامان ، أرجو ألا يكون  
ذلك قد حدث يا أنسة ."  
"طبعا لا ."

كان هذا هو الرد السريع الذي صدر عن ثيو . وهو يشعر  
بالثقة وهي بين يديه ، مما دعاه الى أن يستطرد :

"ألم أقل انني وعدت بحمايتها ؟"  
فقال رامون بصوت حزين :

"أما متأكد انك قمت بواجبك خير قيام ؟"  
فقالت اميز وهي تتعلق بذراع رامون في دلال :  
"هيا يا رامون . . بحب ألا نصايق العصفورين العاشقين أكثر  
من ذلك ؟"

وفي غضب ظاهر قالت تينا :  
"بدو يا أنسة اميز ، أنه من المستحيل أن تقوم صداقة بين  
الجنسين في بلادكم ، كما يحدث في بلادنا ، فإذا كانت هذه  
هي الحقيقة ، فماكون من الكرم بحيث أعفر لك ضيق  
تفكيرك ، بدلا من أن يضايقي كلامك ؟"

وساد جو من الصمت والدهشة . وسمعت ثيو ضحك ضحكة  
صغيرة مكتومة ، ثم استدارت لتواجه العضب الخامع في عيني  
فيعاس . كانت تينا تعرف أنها واحدهما بوقاحة لكنها لم  
تكن مستعدة للاعتذار لاسر التي دل لون وجهها على مقدار  
الغضب الذي لحقها من الالهة ، وضغطت تينا على أسنانها  
وهي تراقب تحركاتها العاضية هي اتجاه رامون ، وكأنها  
تطلب منه الحماية ، وضغطت على شفتيها بشدة حتى

تسمع نفسها من الاندفاع في مواصلة كلماتها المتأثرة وهنا  
تحدث رامون فيعاس فقال :

"أبشر أنا متأكد أن الأنسة دوبيلي لا تقصد إهانتك ،  
وستخبرك بذلك بنفسها عندما تعد اعتذارها في وقت آخر ."

ولم يستمع الى تينا وهي تقول : مستحيل . . لكن تعابير  
وجهه أصبحت قاسية وجادة ، حتى أنها أدارت وجهها بعيدا ،  
وهي تشعر بالتعاطف مع ثيو لموقفه المشابه لموقفها ، والذي  
وقع له في الليلة السابقة .

وهزت رأسها في حركة سخرية ، وهو يساعد اميز على  
الجلوس في مقعدها ، ولكن ، لقد كان هناك شعور غامض في  
أعناقها يؤكد لها أن رامون لم يقل كلمته الأخيرة بعد في ما  
حدث . لكن المؤكد أنه لم يكن أبدا من النوع الذي يسمع لأحد  
بأن يتجاهل أوامرهم .

المرأة

## ٥ - لقاء على ضفة النهر

استقر المقام بالجماعة في قاعدة المعسكر التي أقاموها،  
في قلب الأمازون تماما، في منطقة كازيكوير. وكانت تينا  
تشعر بمعاناتها تترامد يوما بعد يوم، مع ترايد الأدغال  
الكثيفة التي أصبحت وحدها كل شيء يحيط بهم، حتى أنها  
تصورت أنه لم يعد هناك شيء في العالم سوى الأدغال  
الحضراء، والمياه الراكدة السوداء. فالأشجار تتعالى إلى  
السماء وتتشارك قممها العالية لتكون ستارة سوداء تمتص أشعة  
الشمس من اختراقها على شفطي النهر، بينما الأعصان  
المسحفة الكثيفة تتمايل في تناقل حول جذوع الشجر  
السحمة، وكأنها عباءة سوداء تغطي وراءها رعبا على وشك  
لاطلاق.

وكان عليهم أن يبقوا في مكانهم مدة أسبوعين، حتى  
تمكن العلماء والجغرافيون من معرفة أنواع النباتات والحياة  
عند قاعدة النهر. وفي هذا الوقت قررت تينا أن تسأل رامون  
هيناس أن يسمح لها بتكوين فريق صغير للتوغل في المنطقة،  
محتا عن طبيب الأعشاب، ولكن كيف يمكنها أن تسأله؟  
منذ الصدام الذي وقع بينها وبين أليز، تركها الجميع  
وحيدة، ما عدا تينو، ولكن في كل مرة كانت عيناها -



تلقي بعيني راوون، كانت تقرا فهما أمرا لها بأن تعتذر الى  
امير التي بقيت متعالية في برود، وكانت تعلم أنها يجب أن  
تحقق طلبه اذا أرادت أن يحقق لها طلبها.

لكن الامر كان يرداد صعوبة كلما فكرت فيه. كيف يمكن لها  
أن تدل كرامتها أمام امرأة متخصصة في الظهور أمام الرجال  
في أجمل صورة ممكنة كي تجدسهم. ولكن، كل شيء ممكن  
في سبيل العلم.

وسحت لها الفرصة عندما توقف الورق، فقد كان كل  
أعضاء البعثة مشغولين في تعريعه من متاعهم ومعداتهم حتى  
يمكن لحوريف روجر وبخارته أن يفحصوه ويتأكدوا من سلامته  
بعد الرحلة الشاقة. وبظرت حولها ورأت امير تفهف وهفه  
مرسومة تراقب بكسل الحركة التي تدور حولها، ولاحظت تيبا  
أنها تمسك في يدها ميسما طويلا أيضا فيه سبكارة لم تشتعل  
بعد، وهي تنظر الى الرجال المشغولين، طلبا لمن يشعلها لها.  
ورسعت تيبا ابتسامة على شفتيها، في لحظة اشتغال الجميع  
بتنظيم أمورهم. لم يكن لدى أي واحد منهم لحظة يلقي فيها  
بنظرة الى امير التي استدارت يائسة وضجرة لتبحث في  
جيوبها عن علبة كبريت.

وقاومت تيبا كبرياءها ومدت يدها بولا عنها اليها وقالت  
لها ببرود:  
"هل يمكن أن أساعدك؟"

وحملت امير فيها وتراجعت تيبا الى الوراء وهي ترى  
إلى الهم البرتغالي يعكس هذه الكراهية العميقة في نظرات  
امير. وتنفس تيبا في فزع بينما ضحكت امير ضحكة  
صفراء وهي تطلق سحابة من الدخان بينهما، وكانت كل درة  
في جسمها تدعوها للفرار بعيدا عن المرأة التي تركت

مظاهر الكراهية واضحة عليها، وقاومت نفسها بضراوة وهي  
تتذكر الهدف الذي تسعى اليه. وقالت:  
"يا أنسة."

رعب امير حاجبها هي دهشة وأجابت  
"نعم؟"

ارتعش صوت تيبا وهي تقول:

"انني مدينة لك بالاعتذار، خرجت عن حدودي تماما معك.  
واود أن تعرفني انني آسفة جدا."

رفعت امير كفيها بازدراء، وعدم اهتمام، وعيناها  
تبحثان بين الرجال لتري ما اذا كان واحد منهم امير من  
عبله وأصبح مستعدا لتسلتها، لكن الرجال كانوا في قمة  
مشاغلهم عندئذ استدارت الى تيبا وهالت:

"أسفة دوسلي، هل تتصورين أنني أهتم لحظة واحدة بما  
تقولين؟"

وجدجتها بنظرة احتقار، قبل أن تواصل كلامها:

"انني لا أهتم إطلاقا بنقاهات امرأة انكليزية معقدة، خائفة  
من الحياة ومن الرجال، امرأة باردة تضع نفسها في قوقعة  
تلحية، وترتعد كلما وحثت اليها كلمة اعجاب عادية."

وأطلقت ضحكة عالية تنطق بالاحتقار، أشد في قسوتها من  
الكلمات المهينة التي وجهتها الى تيبا التي جمعت أصابع  
يديها في قبضة عندما شعرت بهما ترتعدان. "باردة..."  
"معقدة..." آه لو تعرف امير مقدار الحرارة التي هي قلبها،  
ادن لغبرت رأيها في الحال... وضغطت تيبا على أسامها  
الصغيرة وهي تستعد للمعركة. انها لم تشعر طوال حياتها  
بالظلم والاضطهاد كما شعرت بهما منذ بداية هذه الرحلة.  
لكنها هي الطريق اكتشفت وحوها أخرى خفية فسي طبيعتها

لم تكن تعرفها، لقد كانت تحفي تحت ستار الوقار الذي حملته سنوات طويلة، مشاعر فياضة باعثة، أعم من شعرها، وهي اللحظة التي فتحت فيها لسطق بالرد على امر، ارتفع صوت فيعاس حولها وبصوت رقيق، وبطريقة غير عادية، قال مخاطبا الاثنين:

"اسمي سعيد لاسي أراكما معا، وقد أصبحتا صديقين، وتعلبتما على الغلاطات بينكما."

واستدارت الاثنين معا، كانت عيناها قد تحولان بينهما، بسطرة استهوار رقيقة أرسلها إلى امر، بينما نظراته إلى تينا ما زالت تحمل الشك واللوم ووجهها مازال مشدودا بالفص، مما دفعها إلى الضغط على أعصابها بسرعة لتزيل كل شك في ذهنه. في هذه اللحظة، مدفوعة بحاسة الامشي، شعرت بأنها يجب أن تنصت على امر في هذه اللعبة إذا أراد ألا تبقى في قائمة رامون السوداء إلى الأبد. واستدارت لتمتص لغريبتها بابتهاج، متجاهلة دهشتها التي قطعت منها الالهاس واتسعت ابتسامتها وهي تقول:

"أعتقد أن الآسة وأنا قادرتان على تخطي بعض المشكلات الصغيرة بغير تشجيع منك يا هيفاس، طبعاً نحن صديقتان. وأنا متأكدة أنه عند نهاية الرحلة سنجد بيننا أشياء كثيرة مشتركة اليس كذلك يا انيز؟"

كانت سعيدة وهي تراقب المعركة الدائرة في نفس انيز، قبل أن تتخذ قرارها فقد أدركت الأخيرة أنها سوف تبدو مخطئة في نظر رامون إذا رفضت هذه الصداقة، ومن ثم يجب أن تغلب على هذا الموقف، حتى لو كانت ترى هذه النظرات الضاحكة الخبيثة في عيني تينا التي تخفيها تحت ستار من الابتسامات الكاذبة.

وبمجهود حارق نجحت في أن تبتسم، رداً على ابتسامات تينا، وأن تطلق ضحكة صغيرة معربة، استطاعت أن تخدع بها رامون.

"رامون... طبعاً نحن صديقتان. كيف يمكن أن تتصور شيئاً آخر؟"

"في هذه الحالة، هنا لتري كل مكان المكن المخصص لها، قبل أن نجلس للعشاء..."

طوال فترة العشاء، تعبرت أحوال تينا تماماً. للمرة الأولى تسير الأمور كما نشتهي. والانتصار الرائع الذي شعرت بأنها قد حققته في مواجهة انيز أعطاها ثقة قوية للحديث مع الرجال كما لم تحرق من قبل وحين جلسوا حول نيران المعسكر، في دائرة واسعة، يأكلون "الكاري" الذي أعده لهم هيكس كرملي الذي كان مسؤولاً عن المطبخ في ذلك المساء، استطاعت أن تشق طريقها وسط الأحاديث الدائرة، بسهولة أدهشت زملاءها الذين كانوا جميعاً سعداء بها، ما عدا ثيو الذي كان متضامناً من هذا الانطلاق الحديدي منها، والذي يمثل انغماساً من اهتمامها الخاص به، أنه لا يستطيع أن يشكو من تدخلها له فقد أعطته من اهتمامها قدر ما أعطت الآخرين، ولكنه كان شعور من يملك شيئاً وفجأة، وجد كثيرين غيره يشاركونه فيه.

وقام ثيو، باصطحاب تينا إلى سريرها المعلق، ولكن قبل أن تستدير لتتركه، جذبها من كتفها، وأخطرها إلى مواجهته. قاومت عطفه بحدة وهي تهتف به:

"ثيو أنك تسبب لي الألم..."

واجتاحها موجة من الخوف، وهي ترى عينيها تلعبان في الظلام. وحاولت التملص لكنه انقبض عليها وحاول أن



يطوقها بذراعيه، فاستغضت هذعورة وقالت:

"اياك أن تلمسني ثانية، هل تسمعني؟ إذا حاولت أن تقترب خطوة واحدة فساصرخ طالبة النجدة!"

"أعتقد أنك تفضلين جذب انتباه هذا الرجل البراريلى. هل تعتقدين أنني لم ألاحظ الطريقة التي تنظرين بها إليه في اللحظات التي تصورت فيها أن أحدا لا يراقبك والطريقة التي تلمع بها عيناك عندما تلتقيان بنظراته؟"

"لا تكن غبيا، انك تترك لخيالك أن..."

وقاطعها بعنف: ادن لماذا كنت تهتمين بكل كلماته وهركاته؟

وفكرت بسرعة في أن تجد عذرا وتعتمت:

"ذكرت لي بنفسك أن رامون قد عقد خطبته على امير، فلماذا أضيع وقتي مع رجل هو خطيب امرأة أخرى؟"

وضاقت عيانه. وترددت استسامة على شفتيه ولدهشتها الشديدة، اذا هو يتشهد من أعماقه، ثم راح يصحك بسعادة واضحة:

"ماذا أنت أيتها الشيطانة الصغيرة الماكرة. تهملين ذلك لتضايقي انيز، انك تكرهينها، وتحاولين الحصول على صديقها لتلقينها درسا."

وشعرت بصدمة: ان ثيو وحده في هذا العالم يمكن أن يتصور هذا التصور، ولكن اذا كان ذلك سيبعده عن متابعة ما يحدث بينها وبين فيغاس، فلتدعه يعتقد بصحته وابتلعت ريقها بصعوبة، واحتت رأسها بالمواقعة، وشعرت براحة يصاحبها الاحساس بالعار وهو يطلق ضحكتهن، معبرا عن فهمه، ثم استدار عائدا الى سريره.

وعندما اختفى في الظلام، شعرت تينا بالتوتر،

والأرق. قررت أن تتجول حول المعسكر، الى أن تسترد هدوءها وبرت الى شاطئ النهر، واستندت الى شجرة.

كان النهر رائعا وناعما تحت غلالة من الظلام، تخرقها أشعة القمر المتلألئة، والموج الرقيق يهمس للشاطئين وركعت على ركبتيها لتدلى أصابعها في الماء بحثا عن بعض الترويع في مياهه المبعثة الباردة. وهجاء سمعت صوتا يدوي في أذنيها بغضب:

"هل أنت مجنونة هل أنت معتومة تماما؟"

ولدهشتها الشديدة، شعرت به يهرها هرة جعلت أسنانها تصطك، ورأسها يتحرك الى الامام وإلى الخلف هي مقاومة ضعيفة، وكأنها دمة من القماش. كان الهجوم سريعا، وعندما استطاع أخيرا أن يسيطر على أعصابه لدرجة تسمح له بالكلام، وجه رامون فيغاس اليها الحديث بصوت حاول بكل طاقته أن يسيطر عليه:

"حسنا داعمي، اذا استطعت، عن جريمتك الخرقاء..."

وأماقت هجاء، وتراجعت الى الخلف، وحملت في وجهه غير واعية بما حدث. كانت نظراتها الخائفة تحرق في وجهه الفاص الوحشي، وكأنها طفل عوقب لغير سبب. وارتعدت بدنها وهي ترعصهما لتعبد تلبيت المتشابك في شعرها وقالت:

"أنا لا أفهم شيئا ما هو الخطأ الذي ارتكبته؟"

"تنبأ لن عن الخطأ الذي ارتكبته؟ هل تقصدن أنك نسيت كل شيء عن "البيراياس؟"

"قرأت طبعا وسمعت أيضا عن هذه الاسماك الصغيرة الرهيبة، أكلة لحوم البشر، التي تستطيع أن تحول الرجل الى هكل في لحظات" وجعلها رد الفعل ترفع يديها الى أعلى أمام عينيها، وكأنها تبحث عن أصابعها لتسرى ما اذا كانت ما

ترال في مكانها .

وقال هو مضيق وغضب :

"كنت محظوظة يا أسفة دوسيللي فمن المعروف الرجل اذا وضع يده في هذه المياه، فانه عادة يخرجها بلا أصابعه ما الذي جعلك بحق السماء تقدمين على هذا المصرف؟ لو كان في يدك جرح صغير جدا، لاندفعت اليك جماعات الاسماك المتوحشة - وقد جذبتها رائحة الدماء - لتخلص لحملك من عظامك ."

وارتعدت، ومادت الأرض تحت قدميها، وهي تتصور لو أن هذا حدث بالفعل وكان من المستحيل أن يشرح له أنها كانت تحاول سريان مخاوفها وسط هذا الجمال الذي يحيط بها، ولم يكن ممكنا أن تقول له ان الاسماك لا تهاجم شخصا ليس فيه أي جرح بدليل هؤلاء الروح الذين يسبحون وسطها دون أن يحدث لهم أي ضرر .

وجدبها خارج الظلال الى ضوء القمر الساطع وقال

"كما ذكرت من قبل يا أسفة دوسيللي، انك اما عظيمة او غبية، ولكن في كلا الحالتين لا يمكن أن تكوني قادرة على تحمل مسؤولية بقائك وحدك هي الأدغال ولو لحظة واحدة ."

وأعقدتها الصدمة الوعي، لم تستطع أن تعمل شيئا الا أن تتراجع وهي تحدد فيه يعيين ملامها الخوف . وكان شعرها الطويل الكثيف، أخجله أن يظهر جماله في وجه هذا الاحتقار البالغ، هبط آخر مشبك فيه ليسدل على كتفيها . وشعرت بقبضته تتراخي على كتفيها . ورفعت رأسها بنوسل ليفر لها وشعرت بأنه سجع فقط في أن ينماسك، وأنه يقاوم صراعا في نفسه لادراكه أنه أمام أنثى . وأحست مرة أخرى أنه الوحش الكاسر الذي يحوم في قصصه بحثا عن حريته، وهرمت من الشيطان الذي يقبع في عينيهِ العميقتين، لكنها لم تسجج

هي الهرب من قبضته، فقد جذبها اليه بشدة، لتلتصق بصدرة الفوي . وأمسك خصلة من شعرها، ولفها حول ذراعه الأسمر، لتكون تماقضا بين يده ملونها العانم وشعرها اللامع الرائع وكأ أنه سوار من الذهب الطبيعي حول يده وحمل اليها صوته، مشوة كذلك التي شعرت بها عندما ضمها . وقال برقة

"كنت أشك في أن الجليد يمكن أن يستمر في هذا المناخ الحار ."

وأفادت من غيبوبتها على صوت ضحكة خافتة، خالية تماما من المرح، يرن صداها في المنطقة الخالية . وهلاها شعور بالاشعزاز عندما استدارت لتجد ثيو واقفا وسط الغماء يحدق فيهما . كان فيه يطلق ضحكة خبيثة، تماقص بضراوة مع العبارة الوحشية التي تنطلق من نظراته . واستبهرت، كان من الواضح أن ثيو يستعد للهجوم، وشعرت بالرعب وهي تتوقع السلاح الذي يستعمله لينتقم من رامون .

"رائع ما تبنا محبت هي نفقد كل ما خطب له . لقد كانت فكرة جريئة أن تعاهني اميز باختطاف صديقها المقرب ."

كان قلبها يدق كالطبل في الصمت السائد . كانت تريد أن تصرخ مستنكرة، ولكن ذلك لن يجدي في وجود ثيو ربما يمكنها أن تجعله يفهم في وقت لاحق عندما يكونان وحدهما . ولكن هل سنجد هذه الفرصة ؟

مرة أخرى . قبض رامون على كتفيها بقبضته، وأجبرها على مواجهته، وسأل :

"هل ما قاله صحيح ؟"

وترددت وهي تحاول أن تشرح له :

"لا . ليس تماما . على الأقل . . . لكنه قاطعها بقوة :

"أحيي، هل باقشت هذه الخطة مع براستون مع أم لا ؟"



واستجمعت كل ما تملكه من قوة لتتمكن من الاجابة  
وهمست:

”نعم ولكن...“

واستحال وجهه الاسمر الجميل، الى خطوط شرسة من  
الاحتقار، احتقار حاد، لا يمكن أن يصدر الا عن رجل يملك  
قدرا عظيما من الكبرياء، ورثه عن احيال متعاقبة من الاسلاف  
المتعجرفين.

وبعد ثوان دار على عقبه بهدوء واحسني في الظلام ا

٢ - قرار مفاجىء

معي، لننقذني من الخجل؟ ولم تستطع أبدا أن تجد عذرا  
 نفسها، كانت تستطيع أن تتظاهر بأن عيب الصدمة التي عانت  
 منها عندما جذبها بعنف لينقذها من الأسماك القاتلة  
 مخيفة، أخذ عقلها وسلبها إدراكها، لكنها كانت أمينة  
 مرحة لا يمكنها معها أن تخدع نفسها. لقد تجمع حولها حبيب  
 من سحر اللالي الاستوائية، وشعورها بالسعادة، وقربه  
 شديد منها. فساعد ذلك كله على خلق المناخ الذي دفعها  
 إلى ما حدث. وشعرت بقليل من الراحة، وبقليل من الشكر  
 تدخل ثبو هي الوقت المناسب. لم يكن رامون مهتما بأن  
 يكون مشاعرها في تلك الليلة ناعمة من قلبها، وما هو يتصور  
 أن أنها لم تكن إلا مجرد مشاعر تظاهرت بها لتضابق انيز.  
 وبعد ثلاثة أيام من الأفكار المتضاربة، ومن العمل الشاق،  
 جدد نفسها ما تزال بعيدة عن تحقيق خطتها بسؤاله أن  
 يسمح لها بالبحث عن طبيب الأعصاب. فاسها لم تكن قادرة  
 على الاقتراب من رامون هيفاس أو اتخاذ قرارها في هذا  
 شأن. كانت نظراته الجامدة تمنعها من مجرد التفكير في  
 الاقتراب منه. عشرات المرات حاولت أن تذهب إليه، ولكنها  
 عانت تتردد، إلى أن تصبغ منها الفرصة. واستمر الحال كذلك  
 حتى الليلة الثالثة، وخلال الاجتماع الذي يعقب العشاء فهناك  
 استطاعت أن تجمع قدراً كافياً من الشجاعة لتعرض موضوعها.  
 كان الجميع ملتفون حول نيران المعسكر يستريحون،  
 ويحدثون عن التقدم الذي أحرزوه خلال أعمالهم اليومية.  
 وكان رأس رامون الاسمر مضيئاً على انيز، عندما انطلق  
 سؤال تينا بلا وعي منها:  
 "سيد رامون هل يمكن أن تسمح لي بتكوين فريق صغير للبحث  
 عن "الجواهريموز"؟

خلال الأيام القليلة التالية، انخرقت تينا نفسها في العمل،  
 تجوب الأدغال القريبة بحثاً عن الساعات الهرسية والمهدة  
 تصفها وتكتب ملاحظاتها، في شأنها وتضعها. ولكن  
 الاستغراق في هذا العمل وملاحظة ما حولها، لم يستطع أبداً  
 أن يمحو الحقيقة التي تعيط بها. وكانت اكتشافاتها في هذا  
 الصدد خليقة بأن تكون مثيرة للفضة بالمسبة إليها، سواء في  
 ما يتعلق بالساعات التي لم ترها من قبل إلا كأمثلة بلا حياة،  
 مرصوفة في المناحف، أو في ما يتعلق بهذه الأشياء الجديدة  
 المثيرة التي تعثر عليها في كل خطوة من خطواتها المترددة  
 في الأدغال المجهولة. لكن حتى هذا الحال الذي يهر  
 الانفاس لزهور الاوركيد المتوحشة، بأغصانها ذات الاتواك  
 الرائعة وهي تمتد وتتجمع فيما يريد على عشرات الآلاف فوق  
 العصور الخضراء، لم يستطع أن يجذبها بعيداً عما حدث لها  
 أخيراً.

إنها كلما استرجعت ذكرياتها، شعرت بفيض من الخجل  
 والعار بغمورها. وساءلت نفسها آلاف المرات كيف أمكنني أن  
 أفعل ذلك؟ ما الذي دفعني إلى أن ألقى ببغسي بين أحضان  
 رجل لم يفعل أكثر من التظاهر بقليل من التجاوب



وتوقفت أمفاسها مع توقف الأحاديث بين الجمع، واستدار رامون ليوجه إليها نظراته وواحت قسوته بهدوء يخفي خلفه دقات قلبها الذي توقف عن التنفس.

"الجواهر يوبوز؟ ألا تعرفين أن هؤلاء الناس يحذرون من قبائل متوحشة آكلة للمشر، وهم لم يتحسروا إلا منذ وقت قصير، وربما عادوا إلى عاداتهم إذا دخل غريب أرضهم؟ اسمي أريد أن أعرف سببا هاما يدعوك إلى هذا الطلب الغريب يا أنسة دونيللي؟"

اندفعت فوراً تشرح السبب، مسيت تماماً فصحتها وخوفها، رفعت رأسها الذي تصاعدت إليه الدماء، وردت على مظهره القاسية بتوسل، طالبة منه أن يقدر ويدرك، وهي تشرح له رغبتها في العثور على طبيب الأعشاب واستمع هو صامتا، حتى لم يعد لديها مزيد من الكلام. وعندما تصورب أنها لمحت شعله من الاهتمام تومض هي وجهه الذي يرتدي قناع اللامبالاة، ارتفعت روحها المعنوية، ولكن قلباً أن تترديد آمالها، ارتفعت ضحكة ساخرة من أبيض، وهي تعلق في مرج:

"يا لها من رغبة غبية، اسمي لم أسمع أبداً عن شيء أكثر غرابة من ذلك."

ثم سخرت من تينا قائلة:

"يبدو أنك ساذجة تماماً. هل تعتقدين أن طبيبا بدائيا قدرا يعرف عن معالجة الأمراض أكثر مما نعرف نحن الأطباء والجراحين؟"

وردت تينا بهدوء:

"هل اخترع الأطباء أدويتهم يا أنسة؟ لقد انتجت النباتات الدواء أولا وما زالوا يصنعون الأدوية المشابهة مثل الكيبيس والنسلين. انني أعترف بأن المعامل الهائلة للكيميائيين

في جميع أنحاء العالم تتفوق على الإنتاج البشري، لكنهم يعتمدون دائما على القليل من البيانات التي يدرسونها لولا مثل هذا الطبيب الذي يعترض طريقهم أحيانا بالصدفة، أو أولئك العلماء وجامعي النبات، الذين يتبعون أي خبط ولو كان ضعيفا من أجل الوصول إلى مثل هذا النبات والتحقق من هوائه."

"رائع يا تينا رائع."

وكشف صوت ثيو عن ضحكة خسنة، وهو يتدخل في الحديث:

"عرضت موضوعك بطريقة واضحة هي الحقيقة، وأؤكد لك أنه بعد ذلك لن يسمع أي رجل أن يرفض مساعدتك هي محثك. إلا إذا..."

وابتسم يتحد لرامون، وواصل كلامه:

"إلا إذا كان خائفا من التعامل مع المواطنين وأسلحتهم السامة. في هذه الحالة سأكون سعيدا باصطحابك إلى القرية نفسها."

قاطعه رامون فبعاس قائلا:

"مرانستون أمك لن تفعل شيئا من ذلك هاما المسؤول عن اتخاذ القرارات هيا. وهنا اسمي مسؤول عن كل حركة من حركاتكم، فاسمي لن أسمع لأحد بارتكاب حماقات."

ورمحر ثيو محتجا، لا شيء يمكن أن يوفقه الآن، لقد استطاع أن يقلب العائدة على الرجل الذي استطاع أن يقلل من شأنه للمرة الأولى في حياته. كان طعم الانتقام حلوا، وذكرى انتصاره تعيش مرحلة في أعماقه وتعطيه قدرا من الثقة والأمان، في وجود الرجل المهزوم.

لكن مظهرات رامون الباردة انتقلت من وجه ثيو

المنتصر لتسهر على وجه تينا المحبي الذي رجعته بسرعة عندما سمعته يخاطبها:

"يا أنسة، انني أحترم دوافعك إلى ابداء هذه الرغبة. كما انني أقدر احترامك لما فعله علماء السات. لكن طلبك مرهوف تماماً حتى ولو كان الرجال يرغبون في الذهاب معك انني لن أسمع لهم بذلك فالمخاطر عظيمة جداً".

وارتفع همس متعاطف في صفوف الرجال وقد لاحظوا خيبة الأمل الواضحة التي ظهرت على وجه تينا وعبر فيلكس كرملي عن شعور الجميع بقوله:

"سيد رامون، هل هذا هو قرارك الأخير؟ من العار أن يكون بالقرب من الهدف الذي تسعى تينا إليه، ومع ذلك نقف عاجزين عن تحقيقه. انني شخصاً على استعداد للتطوع بالذهاب معها إلى القرية، إذا رُسيت لما الطريق".

وارتفعت الأصوات مؤيدة، فاستعشت آمال تينا. تصورت أنه لن يرفض الطلب، بعد هذه الموقعة من مشاعر البطولة، لكن آمالها لم تلبث أن تبددت وهي تستمع إليه يتحدث:

"ان الجواهاريوز لن يصيبوا بالضرر اذا بقينا جميعاً معاً ولكن اذا سمحنا للجوعه منا بالانقسام والرحيل فسوف تكون المخاطر رهيبه جداً".

ورد فيلكس:

"ولكن يا سيد، اننا لم نر واحداً من هؤلاء الوطنيين منذ وصلنا إلى هنا، ما الذي يجعلك متأكداً من اننا اذا هالناهم هانهم سيعاملونا بعداً؟".

زوى رامون ما بين حاجبيه في تقطية عاضة، وتحولت لهجته إلى الشدة والغضب وهو يجيب:

"نحن لا نتعامل مع قبيلة من الأطفال الأسرياء

ان "الجواهاريوز" متوحشون من أكلة البشر، وان اتصالاتهم بأول رجل أبص لا يريد عن شهور قليلة مضت. أما بالمسبة لعدم رؤيتك لواحد منهم حتى الآن..."

وحمل صوته رمة التحذير، وهو يستطرد: "قد يساعدك أن تعرف أن غيبتهم تنمينا في كل مكان يذهب إليه مد وصلنا إلى هنا، منذ اللحظة التي وضعنا أرجلنا فيها على أرضهم".

ولم يسمع لهم بأكثر من التحدث فيه وهو يواصل:

"لو كنت قوي الملاحظة بعض الشيء، لاحظت أضواء معسكرهم في الليل. كما أن بعض الحلي التي علفتها على لأعصار حول المعسكر لم تفسح حتى الآن. ولكن في كل صباح أحد الدليل الذي يثبت أنهم توقفوا على بعد أمتار قليلة منها..."

ونحطت آمال تينا عندما نظرت حولها لتجد الرجال غير قادرين على مواجهة نظراتها المتوسلة. وهزمت نظراتها بسرعة بعيداً عن هذه العيون الرقواء الحديدية التي بدا فيها أنها تمنطق بهرمنتها. وبحركة آلية رفعت كتفها في استسلام ولكن قبل أن تترك دائرة الضوء، سمعت أمراً صادراً منها:

"أنسة دوسيللي، أريد التحدث معك في الصباح فارجو ان تأتي إلى بعد الظهور مباشرة..."

اشارت برأسها بعلامة الموافقة، دون أن تنظر إلى الجهة التي صدر منها صوته، ثم سارت وقد غامت المناظر في عينيها فلم تعد ترى شيئاً حتى وصلت إلى سريرها. وتعدبت كثيراً قبل أن تستسلم إلى النوم.

وبعد الظهور مباشرة، أسرعت تقف بوجهها المتعب، وفمها المرهق، وعينيها المتورمتين من السهر أمام رامون



فبنافس، كان الرجال جميعا قد تركوا المعسكر الى اعمالهم،  
حتى انيز اصطحبت الاخوين بريكلمغ ليقف امامهما في عدة  
أوضاع للتصوير بين المناظر البدائية الباهرة، لتوضع التناقص  
بين الطبيعة والصنعة، وهكذا بقيا وحدهما، وكانت كلمته  
الأولى لها:

"ماذا حدث لك هل أنت مريضة؟"

وفوجئت بالخشونة غير المتوقعة في تحينه، وهزت رأسها  
هامة:

"لا، طبعاً لا."

فمضت على أصابعه بصبر فارغ، وأشار الى صندوق مقلوب،  
قائلاً:

"اجلسي، أريد أن أتحدث معك، وأضاف:

"الى أي درجة ترعنين في العنور على طيب الأعشاب، هل  
الى الدرجة التي تجعلك تنفذين كل ما يطلب منك دون سؤال،  
وبدرجة كافية لأن تعدي تنفيذ كل التعليمات التي أصدرها  
إليك عند الضرورة لا يعني عن السؤال الأخير دون تفكير."  
وأضاف بحدة، بعد أن لاحظ أنها فتحت فمها لتحيب  
بمواقفة سريعة:

"يسمي أن أناكد من أنك همت أهمية طلي حتى قبل أن  
أفكر في أن آخذك الى قرية الحواها ربيور."  
واعترتها الدهشة، وتصورت أن أدبها خدعتها، فسألته  
مبطئة:

"نقصد أنك ستصحبني الى القرية؟"

"أفكر في ذلك، اذا استطعت أن تعديني بأنك لن تتجولي  
بعيدا عني ولو لحظة واحدة خلال الرحلة، ثم استطرد مؤكداً  
وأن تنفذي بدقة كل ما أقوله لك دون سؤال أو تردد،

سند اللحظة التي مفاد فيها هذا المعسكر حتى نعود اليه .  
عاشت كثيرا من حماقتك ، ومحاولاتك لاقتاعي بآبك جديدة  
بالسير وحيدة هي هذه المناطق وبما أنني سأحتاج الى البحث  
عن الاثر في كل خطوة ، اذا كنا نريد أن نصل سالمين الى  
البرية ، يجب أن أتأكد من أنك لن تصارعني عوريللا ، أو  
تشتبكي مع هود وراء ظهري ، اذا أدركته لك .

اندفعت دماء الغضب تصبغ وجهها ، واشتعلت عيناها  
بالثورة فقد أعضبتها كلماته الساخرة ، وأوشكت أن ترفض  
تعرض الذي يقدمه النهاء لكنها استردت توازنها وأدركت أنه  
يحجبها الفرصة لتسير في الطريق الذي بدأه والدها وعليها ألا  
تترك شيئا يعوق بينها وبين التعلق بهذه الفرصة .  
سألته :

"لماذا غيرت رأيك ؟ بالأمس رفضت أن تسمح لأحد من الرجال  
أن يرافقني في هذه المهمة ، خوفا من الاخطار الرهيبة ،  
ولأن تعرض أن نذهب أبى معي ، فهل تبددت هذه المخاطر ؟"  
"ل ما زالت موجودة ولكن اذا ذهب وحدها فان الخطر سيكون  
أقرب كثيرا مما لو ذهبا هي مجموعة . انتهى أعرف أفراد هذه  
خسلة ، وهم أيضا يعرفونني . ولن يحدث لك أي ضرر مادمت  
معي ."

ثم انتصب واقفا وقال أمرا :

"دا كنت ترعيبين هي تعيذ كل ما عرصه عليك ، هيسفي أن  
نكوني مستعدة في خلال عشر دقائق . حدي معك كل ما تربينه  
عسوريا لاحتياجاتك . أعددت الأشياء الضرورية التي ستحتاج  
سها في هذه الرحلة ."

"عشر دقائق ؟ وماذا عن الباقيين اية افكار ستراودهم حين  
يصحون اما رحلنا ؟"



"ناقشت هذه الخطة فعلا مع فيلكس وحوريف ووجرز امي لا  
أريد أية مناقشات، لا من صديقك براستون، ولا من امير -  
وكلاهما يرغب في الذهاب معنا وقد أصدرت أوامري الى  
فيلكس ليشرح لهما كل شيء حين يعودان."

وأصبح صوته هامسا وهو يقول: "اطمئني يا أنيسة لن  
تفارقني براستون لمدة طويلة. أتوقع أن يعود مساء غد على  
أبعد تقدير."

وأسرعت تبنا والانفعال يطفي عليها تملأ جنوبها بما  
تصورت أنه ضروري لها. ولم تمض سوى خمس دقائق حتى  
كانت تضرب الأرض بقدمها أمامه هي وهذه الاستعداد،  
منتظرة أوامره ومدا عليه الرضى، واستدار مشيرا الى غارب  
صغير في النهر، قائلا:

"هذا الغارب سيكون مفيدا لنا في رحلتنا مادامنا نسير في  
النهر، فهو أسرع من السير على الأقدام **هنا يصعدى اليه ولكن**  
لا تضعي أصابعك في الماء."

واستدارت اليه بوجه شاحب وهمست بتردد:

"يا سيد رامون لا أستطيع أن أخبرك عن أهمية هذه الفرصة  
بالنسبة الي. أشكرك من كل قلبي لاني لمك حققت هذه الأهمية  
العزيرة علي."

وبرغم أنها لاحظت أن وجهه المنقلب أحد يلس بعض  
الشيء، إلا أن عينيها ضاقتا وهو يرد:

"لا نخدعني نفسك. امي لا أفهم بهذه الرحلة من أهلك.  
دوافعي شخصية بحتة، فأنا بدوري أريد أن أقدم خدمة  
للعلم."

★ ★ ★

حاولت تبنا بكل قواها أن تخفي عنه ألمها العميق الذي  
تمرت به طوال رحلتها، في النهر قاصدين قرية  
لحواها ربيور. وتمت لو أنها لم تبدأ الرحلة على الإطلاق.  
كان الحو المحيط بها لا يطاق، وهي مع شريك صامت، يعتمد  
تجاهلها. جاءت معه وهي يدها غصن ربتون تنمى أن تقدمه  
له، لكنه تحطم عند هذه العجوة العميقة التي أصبحت تفصل  
بينهما. وكان متجاهله وجودها بسفافة جسر يمكن أن  
تعبها اليه، وبظرة واحدة منها الى وجهه المنحهم أقصتها  
بأن أية محاولة منها لتفسير ما حدث لن تقابل إلا بالرفض او  
عدم التصديق.

وشد انتباهها انحراف الغارب في اتجاه واحدة من القنوات  
لعمامة العديدة التي تتفرع من النهر، ولم يحاول رامون  
مقدم أي تفسير لها، وابتعدت أبعدا الى قلب المنطقة  
التي لم تذكرها خريطة من قبل والتي تسكنها قبيلة طيب  
لأعشاب. واستمر الغارب يسير في العجري المائي طوال  
ساعات عديدة وبدأ التوتر يصيب تبنا بالخوف. ولم يكن هناك  
ما يبعث توترها، فلم يجد رامون أي استعداد أو رغبة في  
حديث معها، بينما هو سائر بثبات الى أعماق الاعماق  
واستغرقت في أفكارها: تصورت أن وراء كل كتلة من الاشجار  
كتيبة يخفي وحش كبير. وأن على كل فرع من فروع  
لاشجار مجموعة من الحشرات القاتلة تنتظر لتمص عليها.  
وأن كل غصن رقيق ليس إلا أسنونة رفيعة ستطلق منها  
لسهام السامة، ومع أنها لم تر في الحقيقة غير هذه  
المرشحات الرقيقة المسالمة والطيور ذات الألوان الرائعة،

الا أنها كانت تشعر بشعور غريب جعلها متأكدة من أن هناك عيوما متلصصة، تراقبهما من خلال الأغصان المتشابكة على طول الطريق.

وفجأة قاد رامون القارب الصغير الى شاطئ المهر، ومد يده اليها ليساعدها على الانتقال الى الشاطئ وارتعشت يدها وهي تلامس يده، وقالت:

"ما أجمل هذه الأدغال أنظر ..."

وأشارت الى مجموعة رائعة من رهور الأوركيد بألوانها التي في لون اللهب، وقد ظهر جمالها واضحا اراء هذه الحديقة من الأغصان العاتمة الخضرة.

"أليس في غاية الروعة؟"

وتابعت بأصابعها طائرا متعدد الألوان يحلق في الفضاء، مستطردة:

"وهذا لكم يبدو جميلا الى درجة لا تصدق."

وأطلقت رفرة ارباج، وهي ترى ظل ابتسامة سلاخ على شفتيه. لقد بحب في شد ابتهاه. ولكن عييه كامما شديتي الحظر، بحب أن يأخذ منها الحذر. وعندها استطاع أن ينسب القارب في أرض ناسية، اسدار اليها هائلا:

"يا أسة انعمسي كالظل، سيري فوق آثار خطواتي ومهما حدث لا تحاولي النظر وراءك، هل تفهمين؟"

ابتلعت خوها، وأومات براسها مؤكدة موافقتها دون أن تنطق بكلمة، بينما استدار هو الى طريقه، وبدأ بحرق الادغال. وأدارت تبعا حولها نظرة ودعب بها هذا الحال الحبالي، وأسرعت خلفه بأسرع ما يمكنها، وهي متأكدة من أنه خليف بأن بتركها وحيدة لينقد نفسه ان هي حالف أوامر، وهي لحظة كانت تحتمي بظهره العريض

سائرة وراءه.

ونظرت خلفها، وتعجبت: الى متى يمكنها الاستمرار؟ بالتأكد كان الشيء الذي يدفعها الى مواصلة الرحلة هو اقتناعها بأن رامون فيعاس كان يدفعها الى أقصى التعب ليراهها وهي تستسلم، لكنها خيبت أملة فصفطت على أسانها، وواصلت معركتها بعد أن عرفت أنه لن يحاول أن يسمح لنفسه بالتفكير في ضعف قدراتها لكونها امرأة. العناد وحده هو الذي دفعها للسر في هذا العالم المملوء بالأشجار والادغال التي لا تنتهي وهكذا عبرت البرك والمستنقعات، وتسلقت اللال، ومرت فوق قموات... بل انها واجهت ما هو أفسى: هذا البعوض الحائع الذي دفعته شراسته اليها وحدها وقد سارت على أرض ماعمة أحيانا، وشائكة أحيانا أخرى، بل ملئة بالأنواء لدرجة أن رامون كان مضطر الى أن يمهذ نفسه طريقا معصاه. وكانت الأغصان الكثيفة تضرب وجهها وكم لعب هذه الخفافيش الطائرة التي تنطلق فجأة صارخة هي تحوم وسط العابات كالارواح الهائمة.

وكانت على وشك السقوط والانهيار، عندها التفت وراءه فجاء متوقف وهو ينظر في وجهها العارق في العرق، وقال سائرا وبلهجة مرحة كأنه يتمتع بمذايبها:

"يا أسة، هل أنت على استعداد لتناول الطعام الآن، أم تستطيعين السر الى مسافة أبعد؟"

"أترك لك اتحاد القرار، اسي أرغب في الاستمرار اذا كانت هذه هي رغبتك..."

ولمعت في عينه نظرة اعجاب اخفاها بسرعة.

"سيتريح قليلا، ثم تناول الطعام..."

وشعرت براحة لا متناهية. وكأسه أراد أن يعوضها



عن قسوته في معاملتها فأضاف ببساطة:

"نحن على بعد ساعة واحدة من القرية، انتهينا من أصعب مرحلة من الرحلة."

كانت الوحشة مؤلفة من البسكويت والسردين والبلح الجاف، قدمه من حقسته، فتناولته بشهية وأخذت تأكل بلهفة، وهي لا تشعر أنه يراقب كل حركة من أصابعها الصغيرة، وطريققتها التي تشبه طريقة الأطفال. وعندما انتهت تمددت على الأرض، وأطلقت زفرة عميقة، وارتفع حاجباه من الدهشة وفجأة ودون أن تشعر، فتحت عينا واحدة كسولة لتبحث عنه، وكانت صورته هي آخر شيء تراه قبل أن تستسلم إلى النوم.

لكنها استيقظت فجأة عندما شعرت بقطرة مياه قوية تسقط على وجهها، وطار النوم من عينيها عندما شق شعاع البرق هذه السحب الكثيفة وهو الرعد الأرض تحنها. وهي رعب بحلت حولها عن رامون فادا هو يعميه ربط الحقيقة. استدأر إليها عندما شعر بحركتها، وقال لها مطمئناً:

"لا تخافي، ستكون العاصفة شديدة ولكنها ستنتهي بسرعة، هيا..."

أطاعته، وتبعته في الحال، ولكن بعد فترة وجدت نفسها عمياء تماماً، فقد فتحت السماء أبوابها، وسقطت عليها كتلة من المياه صنعت الرؤية وحاولت أن تفتح عينيها، ووضعت يديها عليهما محاولة أن تريح كتل المياه التي تصع عنها الرؤية. وشعرت بالجنون وهي تفكر في أن رامون يسير دون أن يلقي نظرة إليها تاركاً أياها وحيدة ولم تستطع أن تسمع صرخة هائلة من الانطلاق ولم تر شيئاً. ولكنها أحست بشيء غريب يلتف على ذراعها: هل هو ثعبان؟

واقطعت صرختها الثامنة عندما سمعت صوت رامون

يعلو على صوت الهدير الذي يصدره المطر:

"ماذا حدث هل أصبت؟"

ورن السؤال كالصرخة في أذنها، فأعاد إليها الوعي. وأدرك أن يده هي التي تلف على ذراعها وليست أفعى سامة من ثعابين الغابات فأجابته:

"لقد تعثرت، وأصيب كاحلي."

وتراحلت إلى الوراء عندما لاحظت أنه يحمي ليعحص قدمها:

"كان الألم وقتياً، أستطيع أن أسير الآن."

ونظر إلى وجهها الفلق، وكان المطر منحدر من رأسه إلى وجهه، واستدارت بسرعة لتبعد عن مواجهته بقلب كبير، وتساءلت: هل خاستها أعصابها وفصحت سرها؟ أما هو هاكتفى بأن حال في حرم:

"حسناً هيا بنا؟"

وكما بدأ المطر بسرعة، انقطع فجأة. ولاحظت أنها للمرة الأولى في حياتها كيف تكون الأدغال بعد المطر. الخضرة المتأصلة الرائعة تكسو كل ما حولها، وكادت تصرخ وهي تلاحظ عودة المرووعات للحياة بعد أن كانت تبدو ميتة منذ لحظات، ولكن كين عليها أن تناسي هذا الشعور وتسير صامتة وراء رامون. ومع انقطاع المطر خفت الحرارة التي كانت تجتاح العانة، وحل محلها سيم بارد رطب، وكأنه سحر من روحها وأعاد إليها الحيوية.

كان رامون يركز اهتمامه على الطريق الذي يسلكه. ولاحظت أنها أنه يسير بحرص شديد في الأدغال، بفحص بسرعة كل شجرة بمران بها، ويتوقف بين لحظة وأخرى ليختبر الأرض قبل أن يقرر أي طريق يسلكه فيها،

واستغل تماما في اختبار كل شيء حوله بدقة، وعرفت تينا أنه يجب عليها ألا تقطع عليه تركيزه.

وبعد نصف ساعة من الصمت المركر، توقف وأخذ نفسا عميقا من الهواء معبرا عن الرضى ونظرت تما إلى جوارها لتعرف السبب. وشعرت بالقلق عندما رأت ممرا مطروقا ممتدا إلى الامام وسط الارض. لقد أوشكوا على الوصول.

وحملت فيه بشدة، عندما لاحظت أنه يرسل رسالة بلعة ما، في اتجاه مجموعة من الأحرار المتشابهة المحيطة بهما. ثم ارتعشت خوفا عندما ظهر أربعة من الرجال، أكثر وحشية من أي أشخاص رأتهم في حياتها، وأطلقت صرخة خافتة وأسرعت تحتهم **برامون** الذي همس:

"لا شيء يدعو للقلق **كامو** يستطيعون ايذاءنا منذ ساعات طويلة مضت لو أرادوا. احتفظي بهدوئك، وإياك أن تشعر بهم بامك تخافين منهم."

ساعات مضت ماذا يقصد؟ هل كانوا ينعمون بها منذ اللحظة التي لحادرا فيها القارب. وربما قبل ذلك؟ كانت **هاسنها** صادقة عندما شعرت بأن هناك عيوما تقتلص عليهما، وارتعشت من الخوف وهم يقتربون ولاحظت أن كل شيء غريب فيهم: شعرهم الممعد الكثيف، مظهرهم القوي، أسنانهم القوية التي تبرز من بين شفاههم وترسم على وجوههم شكل الانتصار الخبيث. وكان مما أرسل الرعب إلى جسدها المرتعش طريفهم في المشي التي تشبه القفر وهم يقتربون، ومظهرهم البدائي الذي تؤكد هذه الحلى التي يرتدونها والمصنوعة من عظام الموتى حول أجسادهم العارية والتي تصنع أصواتها عندما يصطدم بعضها ببعض الآخر صدى يزيد تينا شعورا بالهرع وأخيرا هذه الأصوات التي يصدرونها

والتي يتفاهمون بها، والتي ليس لها أي معنى بالمسبة اليها. لكن هل كانت هذه اللغة غريبة حقا؟ انتهت عندما سمعت شيئا مألوقا صادرا عنهم فطرت إلى رامون، ولدهشتها الشديدة رآته يتنسم اذن هكل شيء على ما يرام. أما الكلمات المألوفة التي سمعهم ينطقون بها، فلم تكن سوى ترديد لكلمة "كارامورو". لقد كان المتوحشون يخيون رامون بلقبه.

واستمدت بجسدها المرتعش إلى شجرة، وراقبت هذا الاستقبال الحار. كان رامون يرمي على ظهورهم، ويتبادل معهم الكلام بلعنهم العربية. كان شتئا معدا تماما عن الحياة العادية التي تعرفها، وتعلقت بالشجرة ودموع الضحكات تملأ عينيها وتبحدر على وحشيها. وشعرت فحا بلطمة على وجهها أعادتها فور إلى وعيها. وحملت في وجه رامون الذي كان يهف في مواجهتها، ويده مرفوعة استعدادا لأن يلطمها مرة أخرى. وفرت الدماء من جسمها، حتى أنها شعرت بصدمة عندما حاولت أن تكلم فلم يصدر منها صوت مفهوم. كانت عناسها فقط تعبران عما شعرت به نتيجة لتصرفه. ثم بعد ذلك قالت:

"كيف تحرك على ذلك؟"

ورد عليها بأن هذا هزة جعلت الخوف الذي أصابها يزول كله تماما وبخل محله غضب جامح ورفعت يدها لتضرب بقبضتها هذا الصدر العريض الصخري لكن يده امتدت لتقبص على معصمها في قوة جعلتها تنوسل اليه:

"أرجوك، أرجوك أنك تؤلمني."

"أذن توقفي عن هذه الافعال الصيادية الحمقاء. ستدمرين كل ما تفعل. هؤلاء الناس سيكونون بمثابة العصفين بالنسبة اليك، وهم ينتظرون منك احتراما، مماثلا تماما



للاحترام الذي تقدميه لاسماء قومك فأرجوك ان تذكرني هذا .  
"أما لست امرأة من أهل هذا البلد، وأنت لست رجلي ."  
"من أجل مصلحتك سنكومين امرأتي، وسأكون رجلك، مادامنا  
في هذه المنطقة ."

ودفعها الى الأمام، وقال:

"إذا كنت مستعدة، يجب أن متقدم للبحث عن أنينا من أجله  
عن طيب الأعشاب ."

وكان الوطنيون الأربعة قد اختفوا وسار رامون في طريقه  
دون تردد وتبعته تينا . سارا مسافة بسيطة قبل أن تخرج  
الادغال فجأة عن ساحة واسعة جدا، هي واحدها كوخان  
كبيران من القش، وعلى الحائسين صفوف من الأكواح  
الصفيرة . وكان من الواضح أن القرية كانت في انتظارهم،  
فقد خرج كل من عنها من الرجال والنساء والأطفال وأسرعوا  
اليهم وهم بهتتون:

"كارامورو كارامورو ."

والتصفت تينا برامون وهم يتقدمون ليحيطوا بهما لكن  
لحظ دهمشتها توقفوا على بعد خطوات قليلة، ثم ركضوا وهم  
ينظرون إليها، وضغطت بيدها على ذراع رامون وهي تسأل  
"ماذا حدث لماذا يحملقون في هكذا؟"

وكانت احابته الوحيدة رمحة زادت من رعبها . وظل كل  
شيء موقفا لمدة دقائق قبل أن يتقدم من خلال الجموع  
الراكعة أحد الشيوخ وقد بدا من مظهره وملاسه أنه رجل مهم  
فقال لها رامون: انه رئيس القبيلة .

وبقيت تينا في مكانها مرتعة من هذه العيون المحدقة  
فيها وبعد أن انتهى رامون من حديثه مع الرئيس، استدار  
عائدا إليها وقال:

"أنسة دوسيلي، يبدو أنهم اختاروك امرأة لي، سواء رضيت  
أم لا ."

وردا على نظرتها التي عبرت فيها عن عدم فهمها لمعنى  
كلامه، قال ساخرا:

"لن شعرك هو الذي جعلهم يتخذون هذا القرار، فقد ربطوا  
سبي وسبك بسبب لون الشعر . ان مفهومهم بسيط، وقد سبق  
أن اختاروني وأطلقوا على اسم كارامورو (رجل النار) لاسي  
أول رجل رأوه مطلق النار من مدعيتهم ."  
"ولكن، ماذا بالأنسة التي؟"

فأمسك بخصلة من شعرها، أعرق فيها أصابعه وقال:

"أمر بسيط جدا أنا رجل النار . وأنت، بشعرك الأصفر الناري،  
امرأتي . من أنت امرأة من مار ."  
"أمر مضحك بالفعل ."

"لا شيء مضحك في ذلك . هؤلاء الناس يعبدون النار . ومن  
الآن لن نخافي من الحواهاريمور اطلاقا يا أنسة دوسيلي، لأمك  
"مقدسة" بالنسبة اليهم ."

كانت على وشك الكاء والهمود ينظرون إليها . كل شيء  
حونها كان يدفعها الى الانهيار العصبي . وتفكرها في أنها  
سنشاطهم هذا الطعام الذي معدونه كان بيعت في نفسها  
الاشمئزاز ونظرت حونها بخفا عن هرب ولم تتصور أنها  
سنطيع أن تصارع رامون بما هي نفسها . لقد طالها بأن  
تعاملهم بأدب واحترام .

الحقيقة أن رائحة الشواء على البيران كانت شهية، وراة  
تينا واحدة من ساء القبيلة تقف تحت الشواء وتفتح يديها  
لتنساقط فيها الدمون ثم بذلك بها جسمها العاري ويبدو أنها  
كانت عادة بالوهة عندهم، فقد هرعت النساء لتحجمن

كل نقطة دهن تتساقط من الشواء، ثم يدلكن أحسامهن بطريقة هنية يخدمهن عليها أشهر الصابين من محترفي فن التجميل.

ولاحظت أن اعداد الطعام انتهى، ووقفت امرأة عجوز تقطع الثور الكبير المشوي بيديها، وتقدم قطعة الى كل امرأة من الوافقات، وتصورت تينا أمهن سيعدها الى عائلاتهم، لكن المرأة الاولى تقدمت بقطعة الشواء الى رئيس القبيلة وضيوفه، وشعرت تينا بالعتيان، لن تستطيع أن تدوق هذا الطعام اطلاقا، وانحسب الرئيس على زوجته الضاحكة ليتسلم منها قطعة اللحم الضخمة، وانتهرت تينا الفرصة فأبقت نظره سريعة من وراء ظهره الى رامون.

"أرحوك، لن أستطيع أن ادون الطعام."

"هل سنسمح للعتيان بأن يغرد هرسك في الوصول الى طبيب الأعشاب؟ ان رهضك الطعام سوف يلحق برغم القبيلة اهانة شديدة. لذلك اقترح عليك أن تتغلبى على هناعرك وتأكلي كل ما يقدم اليك."

وظهر تعبير ضاحك في عينيها ثم استطرذ:

"ان الطعام الذي معي لا يكاد يكفي لرحلة العودة، فإذا لم تأكلي، لأن هسوف تموتين جوعا قبل موعد العشاء."

وعندما انتهى الطعام كان الظلام قد حل. وبدأ الرقص حول بيران المعسكر، مصحوبا بموسيقى غير منسجمة تصدر من طبول حواء مصنوعة من جذوع الأشجار، كان العارزون يدقون عليها بعنف، ومعها غناء من شباب الغرية الذين جلسوا في نصف دائرة حول بيران المعسكر مع الرئيس وهيعاس وتينا، الذين أكملوا الدائرة، وهوهم قمر كبير ساطع سبغ في السماء، ويرسل ضوءا كاهيا فوق المكان، وتقاءبت تينا، كان يوما مرهقا حافلا بالأحداث. وادركت بأنه يجب الاكتفاء بذلك، بالنسبة اليها على الأقل. وحاولت أن تنظر الى

رامون لكنه كان غارقا في الحديث مع الرئيس، ولم يتنبه لها حتى عندما سمعت سعة عالية ذات معنى، كي تلفت اهتمامه وتحركت غير مرة، بأمل أن يلتفت اليها، لكن ساعة أخرى كاملة مرت قبل أن ينفذ الحاضرون استعدادا للبوحة الى أكواخهم.

أوصل رامون تينا الى كوخ مسيط ليس فيه أي سرير لنام لاسان عليه. كانت الأرض مكسوة بحشب الخيزران. استدارت تينا نحو رامون وهالت:

"سعدت مساء يا رامون. أشكرك لاصطحابي الى هنا."

ورادها العقب عصبية فأردفت:

"أسي مفعلة، هل تفعل بالحروح؟"

استدار على عقبه، ناظرا اليها ومواجهها عضبها ببرود

"تبدو أن الامر ليس بهذه البساطة، ان هذا هو الكوخ الوحيد بموجود والصالح لليوم. وإذا لم تكوني راضية في مشاركته مساء القبيلة هي كوخ وحد، فأخشي أن أهول لك انه ليس أمامك خيار سوى مشاركتي في الكوخ."

"شاركك؟ لكن هذا كوشي أما... أنت الذي يجب أن تبحث عن مأوى آخر؟"

فقال ساخرا:

"ان مصعبا مصاب مذهته جديدة، ألا أشارك امرأسي كوخها وكما قلب لك أيضا ليس هناك كوخ آخر صالح للاستعمال."

هز كتفيه، وسار عبر الكوخ الى كومة من الحشائش الخافتة، فحمل نصفها واجهه به الى ركن وضعه فيه وأخذ يرتبه ليضع لنفسه فراشا، وهي تراعب غير مصدقه ثم قال: "ها أبدا أعددت فراشي، وأعتقد انك اقنعت الآن بأسي سق."



ورمقها بعظرة خبيثة، وهو يتكلم بسرعة لم تستطع معها أن تجد الرد المناسب بينما استطرده هو:

"لا أعقد انك تعتمدين حقيقة أن اليوم في كوخ واحد معي هو أمر مضاف للتقاليد. أرفض أن أصدق أن خبيرة مثلك هي الادغال تفكر مثل هذا التفكير وهي التي اعبادت اليوم هي الخلاء وسط الادغال بين الرجال. ان لنا نحن الرحالة كما تعلمين قانوناً خاصاً للأخلاق، لا يهتم بما يفكر فيه ضيقو اللاحق من أهل المجتمع."

وهي اللحظة المناسبة، أدركت الفخ الذي ينصبه لها: انه يشك فيها ولكنه لا يستطيع الاتهام دون دليل... وكأنه اراد بسؤاله دفعها الى الاعتراف بأنها ليست خبيرة، ذلك أن مشاركة رجل في كوخ واحد مع أحد المأوى التي يقع فيها دائماً المشاركون في مثل هذه الرحلات. كان ماكرًا، لكنها كانت أيضاً حسنة الحظ، فأدركت الخدمة هي الوقت المناسب. ثم قررت أن تتجاهل الأمر، وتغير موضوع الحديث بعيداً عن هذا المأوى. انها حتى الآن لم تكن تصور أنه حاد في عزمه على البقاء معها، الا اذا قصد بذلك أن يكون نوعاً من المعاقبة. وبعد فترة سألت:

"ما رأي رئيس القبيلة، هل سوي أن يسمع لنا بمقابلة الطبيب غداً؟"

كانت متأكدة أنه خلال الصمت الذي أعقب سؤالها، راح ينظر إليها مدققاً وهو يقدر تماماً موقعها ويعرف كل المشاعر المضطربة التي تحاول أن تخفيها. كان يراها، ويتمعن بها، ومع ذلك فإنه لم يصطرها الى العودة الى الحديث الذي تخلت عنه لكنه عندما أجاب على سؤالها، كانت لهجته تحمل سخرية عميقة:

"وعندي بأن يرسل أحد رجاله لاحتضاره. كان توقيت حضوراً معتاراً، لأن الطبيب حالياً يجمع الاعشاب ليحضر الدواء لمعالجة الرعيم من هذا المرض. كل شيء على مايرام سيكون هنا بعد العجر بقليل."

"هذه أخبار رائعة!"

تبددت السحابة من عمي تينا، بعد أن شعرت بأن المجاع أصبح على هام قوسس أو أدنى، ورايتها كل الآلام والمخاوف بعد أن أدركت أنها أصبحت قريبة من الهدف:

"في هذه الحال، أعتقد أننا نحتاج الى بعض النوم. هل لك أن تذهب؟"

وسارت في اتجاه الباب، وكأنها مضيفة تقف لتمتظر من صفها أن يعادر الدار. لكنه بدلاً من تلبية دعوتها، سار بهدوء الى هراشه، وتمدد عليه:

"نستطيع الحدال أكثر من ذلك، كان يوماً شاق ومتعباً." وأشار الى العش الملقى في الحية الأخرى من الكوخ، وهل: "أصحك بشدة أن نأخذ أكبر مسط من الراحة، فسكون حنة العودة غدا أكثر مشقة من رحلة الحضور، اذا لم سريحي!"

"كنت اظن انني في صحة رجل مذهب!"

وبهض من هراشه غاصاً وقال:

"هل كل واحد هنا يبدو على حقيقته؟ أجيبني عن هذا السؤال."

وأملاً قلبها رعنا من العنف الذي بدا على وجهه، وراة فوقها وهاضاً عندما همس:

"لست ادري لماذا تملكين القوة التي تثير غضبي دائماً؟ منذ اللحظة الاولى التي هابك فيها وأنت تستمتعين

باستخدام قوتك ضدي . لقد وجهت الي عطرسنك وأعضيتني،  
وأهنتني، بل انك حاولت اعراثي لمجرد مضايقة امير .  
واضطربت تينا لدرجة لم تسمح لها بالرد، لكن عبيها  
عكستا كل الخوف الذي شعرت به عندما سمعت كلمته بينما  
زمجر هو بقسوة .

"ان الامر يبدو رخيصا وقذرا، اذا اردنا وضعه لكنه مع ذلك  
يطابق مقتضى الحال . اليس كذلك يا آنسة؟"  
ثم اطلق ضحكة خسة، واسحبه اليها مستطردا :  
"ولكن ماذا لو اسي قررت ألا اترك الموضوع بلا نهاية يا  
آنسة؟"

وهي الحال أدركت قصده وكما يفعل الطفل الخائف، أسرع  
تحاول الهرب لكنه كان يهتف أمامها ويسد الطريق وارتفعت  
وهو بجذبها من كتفها الي صدره العريض . وأرغمها على أن  
تنظر اليه . وقال :

"أنت تحفة غبية، هل تتصورين اسي سأسمح لك بالهرب هي  
مرتين؟"

وقاومته بشدة، لتبعده ولوت رأسها لتجنبه، وقد بدت  
منها صرخة خافتة :  
"لا ، أرجوك لا ."

لكنها كانت تعرف أنها مقاوم بلا أمل فقد قرر أن ينفذ  
انتقامه كاملا .

وفجأة، دفعها بعيدا عنه، وهو ينتظر رد فعلها . كانت  
عيناها الحصاروان تعيضان بالألم، لكنها لم تعلق، وارتفعت  
الدماء الي وجهه، وحقق دراعيه الي جاسه، وتراجع  
خطوتين الي الوراء، ولم تعد يراه هي الظلام الكثيف . لكن  
صوته عكس غضبه، حين قال :

"تحفاحين الي الكثير لتتعلمي الاعراء يا آنسة ان جادبيتك  
شبه حادية الطفل الذي لم يستيقظ بعد ."

ونحويت عنه بعيدا . أسرع الي هراشها ، واستلقت، تاركة  
جموعها العيان ينظر اليها وتمتم :

"صح الموقف واضح بينما الآن، أصبحت متأكدة أن  
مشاركتي لك في هذا الكوخ لا تنطوي على اي خطر . اسي  
سعيد الآن لأن بعض التقدم تحقق ."

ادارت تينا ظهرها لرامون محاولة ان تبحث عن مكان مريح  
لحسها المرهق وكان صوت استهراثه وسخريته يرن هي  
أبها وظلت هترة محملة هي الظلام، تعاني من خشونة  
عراش، وتفكر هي عراة الوضع الذي وجدت نفسها فيه .  
كان صوت بنفس رامون العالي يملأ الكوخ، وقد بدأ اليوم من  
تو به . لكنها ظلت تشعر بقسوة وحدها ووطأة الشعور بالهجر  
في كانت تعاني منه هي طفولتها وبدأت مخاوف الماضي  
تسرب الي نفسها شيئا فشيئا، حتى بدأت ذهات عليها لترفع  
بأثر الخوف .

استغرقت في يوم سيطرت عليه الكواميس التي كانت  
سببتها . العنكبوت المعلق يحلق فيها وسمعت نفسها تصرخ  
حسرة لوالدها، تتوسل اليه أن يأخذها بعيدا عن الأدغال، يا  
مفعرة . . هي هذه المرة، أسي والدها، أخذ يربت على رأسها  
وهي تتوسل اليه أن يسمح لها بالعودة الي المدرسة في  
سكنرا أو أي مكان أن يبعدها عن الأدغال، وسمعت صوته  
خلو بطمئنها، وشعرت بيده تربت على جبينها، ثم انحصرت  
«حلام العاسية، واستغرقت في يوم هاديء، وهي تشعر  
شعور مريح، ووالدها يربت على حدها ثم يبحي ليضع قبلة  
على جبينها .



بدا طبيب الأعشاب وكأنه من المعمرين، والمدوب  
والتعايد التي تملأ وجهه تجعله أشبه ما يكون بسطل أسطوري  
لكنه كان سريع الحركة، مشطاً كأنه لا يزال في ريعان  
الشباب..

ظلت تينا أكثر من نصف ساعة تنتظر مهابة الحديك بين  
الطبيب ورامون. وكان الوقت بعد شروق الشمس بقليل،  
وساحة القرية كلها خالية إلا منهم هم الثلاثة، فقد استيقظت  
على صوت شخص بدعوههم إلى لقاء الطبيب الذي ينتظرهم،  
والذي أرجوهم أن يدعوا إليه قبل أن يعود إلى عمله بأسرع  
ما يمكن.

ويبدو أن سير المحادثات لم يكن مرضياً، فقد كان الطبيب  
بهر رأسه بالرفض مرات ومرات، ورامون يواصل محاولاته،  
ولكن العجوز كان يواصل رفضه وهو ينظر إلى تينا بين لحظة  
وأخرى، وكأنها هي العقبة الرئيسية التي تدعوه إلى الرفض.  
أخيراً مر كنهه يائساً، وعاد إليها وهي تنتظره بمريد من  
القلق.

يبدو أن الأمر مستحيل..

قال لها ذلك بلهجة ناعمة رقيقة، جعلتها تنفخ

## ٧ - مع طبيب الأعشاب

من المفاجأة وتراجعت الى الوراء وهي لا تتصور هذا العطف  
المفاجيء، وكانت كل منمة في عروقها تدعوها الى  
الاحتراس. فأحشى ما تحشاه أن يصيبها الضعف، وبأسرها  
لهجته الحانية تتسللها المقاومة، وتصبح لعبة بين يديه.  
"مستحيل لماذا؟ هل هناك سبب وجهه لذلك؟"

وتحسبت النظر الى عينيته، فان لمحة واحدة كانت كاهية  
لأن تدرك أن القسوة التي كانت تملأ عينيه الرهاويين ذهبت  
الى الأبد وهي لن تتجمل أبدا هذا التأثير الذي يسع من  
تعاطفه الجديد والذي تعرف جيدا تأثيره عليها.  
أجابها بنط:

"ليس للطبيب أي اعتراض على وجودي معه أثناء تخصصه  
هذا امرهم الطبي، لكن اعتراضه ينصب على وجودك أنت،  
هو يعتقد أن حضور أمه امرأة عملية الاعداد وتركيب الدواء  
ستفسده وتجعله عديم الفائدة. ان هؤلاء القوم يعتبرون  
عقيدتهم وما يؤمنون به أهم شيء في حياتهم وفي عهده  
أن تكوين الدواء نصف النجاح، والنصف الآخر يعتمد على هذ  
الطفوس التي يفهمون بها. هو يعتقد أنه اذا كانت اليباب  
التي يستعملها موحودة ودرجة حرارة السران هي المطلوبة  
والأدوات التي يستعملها تماما كما يريد، هن ذلك كله لا  
يساوي شيئا اذا لم يسع الفواعد الموروثة التي استقلت اليه  
عبر قرون طويلة، قبل أن يبدأ في عمله، فهو دائما يؤكد من  
أن هناك أشخاصا معينين يجب أن يكونوا لحظة اعداد الدواء،  
هل تقدرين الآن الموقف الذي يواجهه؟"

ونظر اليها صامتا، بينما انعكس خيبة الأمل المريرة التي  
شعرت بها على نظراتها. كانت تنمى أن تعود الى عمته  
منتصرة، وهي تحمل هذا الدواء الجديد، لتعلن لها

امتصارها ومجاحها. كان ذلك نوعا من الترضية الذاتية، ومن  
إسعاد عمتها التي خاب أملها في الرحلة، لكن، اذا كان ما  
يقوله رامون حقيقيا، فلن يكون هناك سبيل للتغلب على هذه  
العفة. وتملكها الأس، والشعور بالقتل، واهتز صوبها،  
وكأنها على وشك اليكاه وهي تسأله:

"هل هذا هو رأيك النهائي والاخير؟ اليس هناك سبيل الى  
اقناعه؟"

واحترقها عناه كأنه مقرا أسرارها كل سر، وكل أمل، وكل  
خوف متناها، عرفه بقوة بصيرته، فهر رأسه، وتردد قليلا،  
ثم انتهى عائدا الى الطبيب.

وبدا الحديث مع الطبيب هذه المرة بصف، وبصميم وقوة،  
حتى أن نينا بدأت تشعر بالعطف على الطبيب. المسكن الذي  
وقف حائرا، وعكس ما توقعه، بدا وكأن الرجل عبر متأكد  
تماما من قراره، فقد مجتهد كلمات رامون العسفة هي تحقيق  
التأثير المطلوب، وختم كانت دهشة نينا وهي ترى رامون يرفع  
في يده بيدقته ملوفا بها امام وجه الطبيب الشاحب. وبعد  
لحظات النسيب بدأ الطبيب يتراجع، ثم استدار على عنبه،  
وأسرع الى الكوخ العام الكسر الذي بدأت تظهر فيه بعض  
مظاهر الممل.

وعاد رامون الى نينا صليها، ليشرح لها ما مشع فضولها.  
قال:

"هددته بالقوة التي تحملها العصا الباردة التي أملكها، لكني  
أكذب له في الوقت نفسه أنها سوف تسبغ عليه حمايتها ان  
هو بعد كل ما طلبناه منه. وقد رفض في أول الأمر، وأصر على  
أن روحه التي دخلت معمل الولادة اليوم، سيصيبها مكروه  
هي أو طفلها الذي تنتظره اذا هو عصي أوامر أجدده.

وقد اكدت له اني اعده بعدم حدوث أي ضرر للطفل أو لروحته، ولكن لأن المخاطرة ستكون كبيرة، فقد اقترحت عليه أن يذهب الى رئيس القبيلة لاستشارته فيما اذا كانت قوسي هي الأقوى أم قوة أحداده. فاداً وقف الرئيس في صفها فستبين ما تريد، كل ما أرجوه، اذا أطاع أوامرنا، أن يأتي طفله في ولادة سهلة. والا..."

لكن تينا رفضت أن تضع أي احتمال آخر في اعتبارها، فالحصول على الدواء الآن هو كل ما تحلم به وتسمى الحصول عليه وهو يعني بالنسبة اليها أشياء كثيرة. فاداً بعت، فسكون جراء عادلاً على كل هذه المعاناة هي هذه الرحلة. وسيهون بالنسبة اليها كل ما حدث لها في الأسابيع الأليمة التي عاشتها. ستصبح الآن لا تساوي شيئاً الى جوار هذا الانتصار، ولهذا قالت باصرار:

"هذه أخبار رائعة، ولكن متى يعرف قرار الرئيس؟"

مرة أخرى، رجرجر رامون متردداً ثم قال لها

"هناك شيء آخر يجب أن تعرفه. ان المسألة ليست بالبساطة التي تتصورينها، فاداً كنت تريد الحصول على الدواء، فحب أن تعرفي أن هذا لن يحدث بالسرعة التي تتوقعينها وإنما سيكون علينا أن منتظر ساعات وساعات وهو يقوم بطفوسه الدبسة الطويلة، هل أن يبدأ تحضير دوائه، ولسوء الحظ فإن هذه الاستعدادات لن تقل عن ثلاثة أيام."

وساد الصمت وتينا تحاول استيعاب هذه المعاني التي تحتوي عليها كلماته. ثلاثة أيام، كيف تستطيع أن تحمل الحياة ثلاثة أيام وليالها بالقرب من رجل تحبه، بينما هو يعاملها بكل القسوة التي اشتهر بها القاتحون من فرسان الأسبان؟ هل تستطيع أن تقاوم هذه الأحاسيس التي

تعصف بها، وأن تتظاهر بالقوة والكرامة، أم أنه يستطيع أن يكتشف ضعفها؟ وكيف يمكنها أن تتحمل العذاب الذي ستعانيه لو أنه استمر في رفته المعاكسة، والبطرات الساحرة التي سوف تسلبها دون شك آخر قطرة من كرامتها؟ ولكن، هل نصحي بالهدف الذي تحملت كل ما تحملت من أجله بعد أن أصبح قريباً؟ هل تياس والحلم أو شك ان يتحقق؟

رفضت كتعبها، وقالت:

"اني راغبة في البقاء، اذا وافقت أنت."

بعد ساعة كاملة، رضع الطبيب لصيحة رئيسه، وقادهم وراءه الى قلب الأدغال، واختار بقعة ليندا فيها عمله، هربة من القرية، حتى يسهل وصول رسول يحمل اليه أخبار طفله الذي ينتظره من يوم الى يوم، وأخبار زوجته التي تنتظر المولود. وشعرت تينا بالقلق، فقد كان يرمقها طوال الرحلة من لحظة وأخرى ببطرات عدائية. وهكرت في ما يمكن أن يحدث لو وقع مكروه للطفل أو لأمه. وحاولت أن تمحو أية صورة للتوقعات المخيفة، وركرت بظراتها على البندقية التي حصر رامون على أن يحملها معه. وشعرت بالاطمئنان وهي تسير في حماها.

كانا يحملان معهما من الطعام ما يكفيهما لبومين أو ثلاثة، وبما أنهما لم يكونا قادرين على العودة الى القرية يومياً، فقد حمل رامون معه في حقيبته الأسرة المعلقة، والشباك التي تحملهم من الحشرات. وبعد أن سار ثلاثهم في العانة مدة ساعة وصلوا الى ساحة صغيرة. كان من الواضح أنها هي المعمل الذي اختاره الطبيب، فقد كان فيها بعض الأدوات وأبقانا التي يستعملها المحور، وكوخ صغير ينام فيه أخفى في داخله بمحرد وصولهم وظل هناك مدة طويلة من الوقت،



كانت كاهية لاعداد أسرتهم المعلقة التي بقيت تنتظر من يشغلها، بينما ظل الطبيب في داخل كوخه في انتظار الظلام. وكاد صبر تيبا يفرغ. كانت قبقة تريد البدء في الحال. ويبدو أن الطبيب كان ما يزال معارضا لوجودها، ولكن أخيرا، أمسك ورقة شجر في يده، وبسطها، ووضعها أمامها، وأدركت أنه يريد منها أن تجمع من العانة، أكبر عدد ممكن منها. وانتسخت لكنه واجهها بوجه متجهم غاضب وبكلمات لم تفهمها، وسطرت الى رامون تطلب منه تفسير ما حدث، فقال لها مهدئا:

"لا تدعي الرجل ينجح في استفزازك يجب أن تعدي مشاعره، فهو يعتقد أنه أول رجل في قبيلته يضطر الى خيانة تقاليد أجداده ويغشي أسرهم، وهذا يحلب له العار مدى الحياة، وهو يعتقد اعتقادا جاراها الآن أنه سيمسك بمحنة كبيرة، عقابا له على ضعفه فيسبقي إذن أن يحدده، ويتمنى ألا نخونه شجاعته."

وسارا في الغابة المحيطة بالساحة صامتتين، بحممان الأوراق التي طلبها الطبيب. وكانت تيبا سعيدة بهذا الصمت الذي لارهمهم، وكانت أنه حركة صغيرة بين الأشجار، كهيئة بدفعها لأن تفكر مددعة الى جواره، ولكنه مرغم ملاحظته لما يبدد منها، فإنه لم يعلق على ذلك. وظلا بحممان الاشجار حتى غابت الشمس، ثم قفلا راجعين الى الساحة، حيث كان الطبيب يجلس ساكنا كالتمثال، محملا بتركيز شديد في كومة من الأعشاب، ورفع رامون يده داعيا تيبا الى الصمت، ثم قادها في سكون الى الحجاب الآخر من الساحة حيث أقام الأسرة المعلقة. وقال لها محدرا:

"يجب ألا مقطع عليه تركيزه."

وبعد أن وضع أوراق الشجر على الأرض اتجه الى

تيبسا وقال:

"لماذا لا تستريحين، سأحضر لك طعامك؟"

"شكرا، أفضل أن أحضره بنفسى. اذا كان ذلك لا يضايقك."

احتفت النظرات الرقيقة من عينيه، وعاد الى وجهه الجمود ثم قال:

"حسنا، بما أنك ترفض أن تكون صديق، فلا شيء آخر يمكن أن أفعله."

ونهاك قريبا جالسا على جذع شجرة، ومد لها يده معص الملح الجاف، قائلا:

"أسف، ليس أمامنا خيار، ولكني عدا سأجوب العانة بحثا عن طعام لنا وسأجد هاكهة، وجور الهمد، وربما عثرت على عسل أيضا. أشكرك."

"نحن هنا المنحصران الوحيدان في هذه البقعة المهجورة وعلينا أن نقدم مثلا طيبا أمام هؤلاء المتوحشين الذين سيصفوننا.. فبحاول أن يناسبى كل المشاهدات ونحاسبات التي بينما، على الأهل خلال إقامتنا هنا."

وهطرت واقفة، ودفعت يده بعيدا عنها ليتدثر البلع الحاف على الحشائش، وكان عليها أن تقول أي شيء ليخفي هذه المشاعر التي تحسها والتي تصرخ في أعماقها شوقا اليه. وخرج صوبها غربا وهي تقول:

"أما لا أريد صداقتك، لا الآن، ولا غدا، ولا الى الأبد. الحقيقة أنه بعد ما حدث في الأمس هاسي أتمنى ألا أراك مرة أخرى في حياتي. انضى أعرف..."

أصلح صوتها وأكمل:

"انك تهتقد صديقتك الحداية دونا ابيز، ولكن لن يكون هذا سببا لأن تعاملني كبديلة لها."

"ولكن ألم تكن هذه هكرتك هي الأصل؟"

واسعدت عيناها الزرقاوان نظراتهما الباردة العميقة، وعندما احمر وجهها، ضحك ضحكة حالية من المرح وكم كانت دهشتها اذ واصل قائلا:

"تعالى بعلل هدية بيما. يكفى هذه البقعة من الأرض وما فيها من مظاهر العداء والحروب والوحشية، هيا تعالى."

ومد يده اليها، قائلا:

"اسمى أعبدك عن كل ما سببه لك من مصائبك تعالى بتصافح، ويتعاهد على اننا اذا لم يكن صديقين قادرين على أن نكون فعلى الأقل لنجتنع عن أن يصايق كل منا الآخر. أرحوك قولي انك موافقه."

وارتفعت دماء الخجل الى وجنيها. وضاعت في حيرة. أما هو فابسم ومد يده الى آخرها فأخست كأنها مسجورة تماما. رفعت يدها ببطء حتى أصبحت هي تتناول يده، وترمش وهي تشعر بفوضته القوية بيما همس هو هي رقه.

"تبنا، أشكرك على كرمك... من مسحين بأن اسمع صوتك ينطق باسمي؟ ستعطيني أملا هي أننا قد أصبح يوما صديقين."

في هذه اللحظة ضاعت كل شكوكها. وادركت أنه يطلب منها امرا بسيطا جدا، فهتفت.

"حسنا يا رامون."

نطقها بسعادة، وخفة هزيع يدها الى شهيته، وانظر قليلا، قبل أن يلتصقا ثم نهض معرا عن ارتياحه العميق. واحد يراقبها بعينه نصف المعصتين وهي تناول طعامها...

ولم تعد تشعر بالجوع. اكتفت بما أكلت. لكن الفترة التي قضتها هي مضغ الطعام كانت فرصة لأن تحاول أن تجمع افكارها، وتسيطر على أعصابها، وتخرج من هذه الحالة السحرية التي حذبتها اليه، وأفقدها وعيها واستطاعت أن تسيطر على مشاعرها بعض الشيء، بينما كان رامون يحسم لصحم متمددا على الأرض وهو يدرك تماما كل العواطف التي تعتمل في صدرها.

واستفرقت في الاستماع الى أحاديثه العسلية المثيرة وهو ينتقل من موضوع الى آخر في سهولة وطلاقة من الحديث عن جمال الأدغال ووحشيتها، الى الأماكن الغامضة والغريبة التي رآها، ثم الى هؤلاء الناس المتوحشين الذين يحاول جامدا أن يساعدهم. وأدهشتها رغبة الملحة في مساعدة الناس وحساسيتها لرغبة، وروحه انشغافة، وبأكذب أن ذلك هو لوحه الآخر لهذا الرجل القاسي الصعب المراس، وأن هذه هي التحصنة المثالية لما يحب أن يكون عليه المكشف الحقيقي. وتحدث عن هيرله وأهله الذين يعيشون في الأراضي الخصبة التي تمنلىء بالخير، تحدث عن أشجار المور وجور الهند وقصب السكر وكل المرووعات الاسوائية، وعن البين الذي سمو في بلاده، وقطعان الماشية التي تهرج على سفوح الجبال... وهيا فاطمته.

"لماذا ترحل كثيرا رغم أنك سعيد في وطنك؟"

"ربما لاسي أريد أن أمحو من تفكير هؤلاء المواطنين البسطاء الفكرة التي رسخت في أذهانهم عن وحشية الرجل الأسير. هم من سوء الحظ أن أول من غزا أرضهم كانوا مجموعة من الناحتين عن العطاء، وقد عاملوهم بقسوة، ربما لخوفهم منهم، فلم يفرقوا بينهم اطلاقا وبين الحيوانات، ولم

يراعوا تقاليدهم ولا معتقداتهم. وقد أوفدتني الحكومة  
البرازيلية على رأس بعثة لاقامة علاقات مع هؤلاء البسطاء  
الطيبين، ولمحاولة تحريرهم من قسوة الجهل الذي يعيشون  
فيه، وحتى يأتي اليوم الذي يستطيعون فيه الحياة مثل سائر  
البشر، ويتعاملون معهم بالطريقة المتقدمة نفسها، مما ما مثل  
ما حدث مع الهنود الحمر في اميركا الجنوبية..."

"رامون، أرجوك ان تسهر. أريد ان استمع الى المريد."  
وقفز جالسا بحجة ورشاعة وانضم لها قائلا

"ولكنني تحدثت عن نفسي ما فيه الكفاية. أريد ان أعرف  
عنك أنت الكثير، كل ما أعرفه منك امكثرية. امكثرية جدا.  
واسي هي شوق لأن أعرف كل شيء عن كل ما يحيط بك  
العالمية الشهيرة في عجم. السمات، العروس الثلجية، ذات القلب  
الوحشي..."

"ليس هناك الكثير الذي يمكن ان تعرفه عني، وليس هناك  
ما مثير الفضول... انني اقضي وهي بين العمل في حدائق  
السمات هي كيو، وأدرس خلال اوقات فراغي، وأعيش مع  
عمتي في لندن، وسن وقت وآخر نقيم بعض مآذب العدا  
لاصداقنا المهرسين وهم غالبا من العلماء وأحيانا مخرج الى  
المسرح، أو يتناول العشاء في مكان عام. وبالمقابلة مع  
حياتك، فسن نعيش حياة روتينية..."

"ان هذا يدهشمي!"

وكانت كلامه كرس الامدار هي أدسها. عرفت الآن أنها  
في غمرة هذه الجلسة الشاعرية بسبب حدرها وبورطت في  
اعتراف لم تكن تود أبدا أن تكشفه. كان حديثه قد بعث اثقه  
في نفسها، فوحدت نفسها تتحدث بصدق وصراحة،  
واستطاعت بكل قوة أن تسه نفسها الى أنها يحب أن

تكون حذرة هقالت مستدركة، وهي تهدف بأكدويتها:  
"طبعاً هذه هي حساسي في الأيام التي أكون فيها في لندن،  
ولكن من حسن الحظ أن هذه الأوقات تكون هليئة عادة ولولا  
الرحلات التي أقوم بها وتغير من سير الحياة الروتينية هذه،  
لما استطعت أن أتحملا..."

"أه. فهمت..."

لكن صوته كان خاليا من أي تعبير، وشعرت بأنها خيبت  
أمله بطريقة لم تدركها، وحولت وجهه الى الحمود. ولم  
تستطع أن تدرك شيئا من نظراته، فقد أرحى أهدابه السوداء  
الطويلة، فلم تستطع أن تقرأ عنها شيئا. ثم استدار بعيدا  
عنها، حتى لم تعد ترى وجهه وفي صوت هادي قال:  
"ان الوقت متأخر، وقد حان موعد الرقاد، تصحبن على  
خبر..."

وأخى رأسه واستدار بعيدا...

ونعاص قلبها وهي تراه يعود الى قسوته، وعندها رآه  
يذهب، ضاع صوتها الذي أرادت أن ترد به على تحيته، ضاع  
تماما في الصمت الشامل الذي يحيط بالمكان.



## ٨ - الهدية

في الصباح التالي، كان من الواضح أن طبيب القبيلة قرر أن يتراجع عن وعده. وهو لم يفعل ذلك صراحة، لكن تصرفاته كانت تدل بوضوح على نية، فقد استمر في تجهيز معداته، وبعد أن جمع جذور النبات والأعشاب المطلوبة كلها، ووضعها فوق أوراق الشجر التي جمعها رامون ونمينا في اليوم السابق، ثم بيد أي راحة في الاستمرار، وأما توقف تاما عن العمل، وحلّس صامتا يحدق في اتجاه الأدغال، وكأنه ينتظر حدثا مهما ثم يعود ليرفع بصره نحو السماء التي بدأت الشمس تتوسطها، وتشتد حرارتها. ولم يحاول أن يهتم إطلاقا بكلمات رامون الحادة، ولا محاولاته لحثه على الاستمرار في العمل، بل تجاهله تماما، وظل ينتظر إشارة تدل على أنه ليس معضوبا عليه نتيجة تصرفاته.

بعد لحظات، سمعوا صوت خطوات فوق العشب الجاف تحرق الدغل القريب، المحيط بهم، ثم ظهر رجل يحمل رسالة إلى الطبيب، واتجه إليه فوراً. كان الرسول يلهث في اضطراب ويبدو أن الرسالة كانت تحمل مرثدا من المشاكل، فإن رامون بنفسه لم يستطع أن يهدي من العلق الذي اعتري وجه الطبيب، وظهر واضحا على حركاته وإشاراته وهو

يحادل رامون فيعاس...

ظلت تبنا تنتظر، حتى نفذ صبرها، فأسرعت الى حيث وقف الرجال الثلاثة وجذبت رامون من دراعه وسألت: "أرجوك أخبرني ماذا حدث، ما هذا الموضوع المثير الذي اثار الجدل؟"

"وضعت زوجة الطبيب طفلا ذكرا..."

"خمر عظيم" رائع ادن سيمكننا أن نواصل العمل..."

"كلا، لقد أعلن الطبيب باصرار أنه لن يكمل العمل فهو يقول انه اذا أتته كما وعدنا فسيمرض طفله ويموت، ويجب أن ينتظر ستة اشهر أخرى قبل أن يجرؤ على مواجهة الامر ولأن المولود ذكر فهو يخشى أن مضحي به..."

"ادن، لن نستطيع أن نعمل شيئا اذا كان قانون الغابة يحرم عليهم هذا..."

ولكن يبدو أن رامون لم يكن في بيته أن يأس اد قال:

"ان قوانين الغابة هي الحجة التي يحنثون وراءها دائما عندما يريدون أن يحتجوا عن تقديم عمل لا يرتكون فيه، واعتقد أنه ان الاوان للنجاة على الطبيب..."

وأسرع يستدير الى الطبيب الراهض ويتحدث اليه، واردادت دهشة تبنا وهي تراه يخرج من جيبه علبة فيها أهراص من السماع، وضع قرصا أبيض منها في يد الطبيب المفتوحة، وكان طوال الوقت يتحدث بسرعة، وأمسك الطبيب القرص بين أصابعه وأداره عدة مرات، بينما كان رامون يواصل حديثه ثم، وضع القرص في فمه.

ظل وجه الطبيب فترة جامدا تماما بلا تعبير، ثم تحول شيئا فشيئا الى دهشة شديدة مهروجة بالخوف، وفتح فمه ليسمع للحرارة التي ألهمت فمه أن تهدأ، وتصارع هي نفسه بالخوف والسرور، وبدأت المعركة على ملامح وجهه

وأصحة، بينما وقعت تبنا مع رامون في صمت تام في انتظار قراره وأخبراء، وبعد لحظات مشحونة بالقلق، انحنى فجأة وركع امام قدمي رامون فيعاس، ثم قفز واقفا وأسرع الى كوخه وفي هذه اللحظة، عرفت تبنا أنهما انتصرا في معركتهما مع الطبيب، فاستدارت الى رامون وسألته:

"أرجوك، هل يمكن أن تشيع فضولي، وتشرح لي ماذا قلت له..."

"هل تريد أن أشرح لك التفاصيل، أم تريد الخطوط لمريضة؟"

"أي شيء، فقط أخبرني..."

"ذكرته بأن اشهرا عديدة مرت، وقومه يعلمون أن كلامي معهم دائما هو الصدق والحبر، وان البضائع التي أحضرتها اليهم لم تكن فاسدة، والسكاكين التي قدمتها اليهم تعمل أفضل من أي شيء، فاطع لديهم، وذكرته أيضا باليوم الذي استعملت فيه عصاي الفارسة ضد القوى الشريرة هي الغابة، وأخيرا قلت له انه لو وضع أحد أهراصي اللاداعة على لسانه، من يحدث أي مكروه لولده الذكر، يادن الله..."

وأشار برأسه جهة الطبيب الذي كان مشغولا في العمل، وأردف:

"اسمي أحمل أهراص السماع فهي باعتبارها الورقة الاخيرة، لراحة ولو أنها فشلت هي انباءه لما استطاعت أية قوة في نوحود أن تقعه..."

وانقضى اليوم وهما يراقبان عمل الطبيب... كان يضع قطعة مسطحة من الحجر في مكان معين ومعها قطعة كمية من الخشب، يدق بها النباتات التي جمعها، وبين لحظة وأخرى كان يسرع الى كوخه ليستريح قليلا، ثم يعود مستعشا

ليواصل عمله . وبعد أن انتهى من هذا الجزء من العمل ، أسرع إلى الأدغال يبحث عن نوع معين من الأعصار موقد بها مبراسه ، وبعد أن اشتعلت الميران وارتفع لهيبها ، وضع القدر عليها هي راوية معينة ، ثم وضع فيها بعض الماء استعدادا لإضافة النبات المطحون الذي كان قد أعده .

إلى هنا كان العمل يسير كما تريد تينا ، ولكن عندما بدأ هي الاستعداد لإضافة النباتات المطحونة ، صاحت بصوت مرتفع :

"لا ، لا ليس الآن . . ."

فغمر من مكانه خائفا ، بعيدا عن النار ، وأحسب أنها تكاد تموت خوفا ، وبطرت إلى رامون مستبعدة وقالت :

"يجب أن أرى هذه النباتات المسحوفة التي سبضتها ، هذون الميران لن يكون لملاحظتي أية فائدة . أرجوك اشرح له هذا ."

واستدار بعد أن أومأ برأسه موافقا . وبدأت مباحثة هادئة بينه وبين الطبيب المدعور ، وراقبتهما تينا وهي تحاول جاهدة أن تفهم شيئا ، وشعرت بالأسى بعمر فلها عندما أشار الطبيب إشارة رفص قاطعة وثمة كلمات أخرى شديدة قلب ، وردود غاضبة ارتفعت ، قبل أن يجلس طبيب الأعشاب مرة أخرى - وهو يرمقها بنظرة كرامة - ثم قدم مجموعته المساحيق التي معه إلى رامون الذي نظرت إليه تينا مستفهمة ، فقال لها بلهجة شديدة الحدة :

"رفص أن تلمسي عقافره ولكنه سمع لي أخيرا بأن أقوم بها تريد ، بنفسى ، اشرحي لي بسرعة ما يجب أن أقوم به قبل أن يغير رأيه ."

وسارعت تينا تشرح له طريقة استعمال الميران

لدقيق الصغر الذي أحضرته معها ، وكان ينفذ تعليماتها بدقة شديدة ، وهي اللحظة التي كان هو يقوم فيها بمراقبة لميزان ، كانت هي تقيد ملاحظاتها بالارهام ، كل وزن على وحدة ، قبل أن يعيده إلى الطبيب الذي يضيئه إلى مياه القدر . وكانت أعصابها ترداد نوثر ، وهي تراقب كل حركة من حركاته فقد كانت تخشى أن يصيف نوعا مجهولا من النبات دون أن تراه ، يكون له تأثير فعال هي العقار ، يعتمد أن يخفيه عنها . فظلت مشدودة إليه . وكان يصممها على ملاحظته مراحل العمل بدقة كغلا بأن يجعلها تلصق إلى حوار ، حتى بعد أن خرج رامون إلى الغابة بحثا عن طعام .

وساد صمت ثقيل ، بعد أن خرج رامون ، وشعرت بالخوف بحرق قلبها ، والعرق البارد يغمر جسدها . ورغم أن الطبيب كان يتجاهل وجودها تجاهلا تاما ، إلا أنها كانت تشعر بكل حواسها ، أن هناك رائحة قوية تملأ المكان حولها . رائحة الكرامة العسفة التي تصدر عن هذا الشخص الصامت الساكن الذي يقبع بجوارها .

عندما دخل رامون ومعه رسول إلى الطبيب ، وحدث نفسها برتقي من أحصابه ، وهي ملهى بكل خوفها من يده . وانتقلت نظراته الحادة من وجهها الشاحب ، ووجه الطبيب الجامد كالقناع :

"ماذا حدث لماذا ترتعدين من الخافك؟"

وهزت رأسها مقلية ، كانت مرهقة لدرجة لا تسمح لها بأن تشرح له الخوف الذي ابتاعها ، ولم يقل عمر كلمات منقطعة :

"أرجوك ، لا تتركني وحدي معه مرة أخرى ."

"حاولي ألا تضامقي نفسك ، وأعدك اني لن أتركك وحدك مرة أخرى ."



وعندما نظرت إليه، وجدت نظراته تنجس إلى الرسول الذي حضر معه. كانت المناقشة حادة بحيث جعلتها تشعر أن هناك عائقا آخر ظهر في الأفق ولاسيما عندما لاحظت أنه قطب بشدة ما بين حاجبيه، وقال لها بغضب:

"الرسول يخبره بأن ابنه أصابه المرض والضعف، وروحه تتوسل إليه أن يعود سريعا إلى القرية، قبل أن يموت الأوان".

"هل يتوقعون موت الطفل؟"

"أنلي غير متأكد إذا كانت هذه المزاعم حقيقة، أم أنها خطة أخرى رسمها الطبيب حتى يتمكن من التملص".

وتابعت عبثا مرة رأسه وهو يشير إلى الطبيب الذي اندفع إليه، وقد بدا القلق والحرص في عينيه ثم تحدث إلى رامون فوراً، وعرفت أنها أنه قرر مهايتها أن مرحل. كان يتحدث ويهمس بصوت كالفحيح، وبغضب واضح، وهو يلمع الألباء التي بقت إليه حالة، به الضحية ثم استدارا إليها وفقر تحت قدميها بشراسة، وهمم أنه يحملها معه ما أصاب طفلها.

وامر رامون الطبيب بأن يسعف عن حركانه فوراً، وظل تبثا تراقب وتستمع وهي تلوم نفسها على جهلها التام بهذه اللعبة التي يتحاذلان بها، فهي لا تفهم كلغة واحدة مما يقال، لكنها لاحظت رد فعل الطبيب، وشعرت بالراحة، فقد تحولت مشاعر الطبيب من العصب إلى القلق بعد أن وجه إليه رامون ما يبدو أنه سؤال حاد، وهو رأسه في يأس ثم عاد مسرعا إلى قدوره.

قال رامون وعبثا الزرقاوان تلمعان:

"كانت حيلة كما توقعتم، دبرها ليخلص من عوده لنا

بدون أن يشير غضب عصاي المارئة... وعندما عرضت عليه أن أعود معه لمساعدة عائله، حاول أن متملص بأعداد واهية أشعني بكديه، لكننا على الأقل استطعنا أن ننتهي من هذه الحيل إلى غير رجعة. هددته بأن سحر عصاي السحرية سوف تنقله في الرورق الاسدي إلى الموت، إذا حاول أن يكرر أكاديبه أو حيله، وأنا متأكد أنها لن تعاني من ذلك بعد الآن. والأهم من ذلك أنه وعدني بأن الدواء سيكون معدا هي الصباح. اطمئني، لن يهوم بأي حيلة بعد ذلك، ويمكنك أن تستريحي حاليا، وأنت مطمئنة".

وكان محقا فهي فجر اليوم التالي، وضع الطبيب بين يدي نوما علبة من الخشب الصلب فيها دواء يتبه المرهم، رمادي اللون فعملته بعناية وأسعرت به إلى رامون وكأنها تحمل أكسير الحياة. قالت وهي لا تصدق نفسها:

"حصلت عليه... أحيرا حصلت عليه".

وافرحت شعده عن استماعة واسعة، وأمسك بدفنها ورفعها عاليا ليعمد عينها عن الكيلة الرمادية، وهذا مهبط صحيح، أن قلبي برقص فرحا من أجلك، أن التصحيات التي قدمتها لحصلي عليه، تجعلك تستحقين مكافأة".

أخذت ناقب رامون وهو بعد ربط الأسره ووضعها في حقيبتها، وكان ينظر إليها بين لحظة وأخرى وكأنه يسمع بهنظرها وهي تضم علبة الدواء إلى صدرها لكن هذه البصيرات كانت تدفع القلق إلى عينها الواسعتر، مما لا شك فيه أن له دورا كبيرا في الوصول إلى هذا النجاح. فمن دونه ما كان يمكن أن تصل إليه. وأرادت أن تعبر له عن شعورها بالاعتراف بالجميل ولكن، كيف؟

لم تستعرق رحلة العوده إلى القرية وقتا طويلا...

وقابلهما أهل القرية بالترحاب، حتى أنها لدهشها الشديدة شعرت بالأسف عندما فكرت في أنها ستغادرهم، لكنه كان شعوراً موقناً، فهي تنمى لو بنت لها أحبها، إذن لطارت بها فوراً إلى لندن إلى عمته لتقدم لها هديتها.

وهي غمرة الانفعال الذي أصاب الجميع بعودتهما، لاحظت أن الطبيب تسلل مسرعاً إلى الكوخ الذي تعيم فيه روحته، ليطمئن إليها وإلى طفله وما لبث أن عاد، غارقاً في الابتسام ولم تجد حاجة لمطالبة رامون بأن يفسر لها ما يقوله الطبيب، فقد كان في وجهه المتسم وصوته الضاحك دليلاً واضحاً على أن كل شيء على ما يرام.

واستمع إليه رامون باهتمام، وانقسم وهو يستدير إليها ليقول:

"إن الطفل وأمه في حالة جيدة، والطبيب في غاية الدهشة لأن سحري أقوى من سحر أجداده، وهذا كان يعتقد أن شيئاً من هذا هو حكم المستحيل. وهو يقول أنه يستطيع أوامر يمد الآن في كل ما أريد، ويقول أيضاً إن طعم الأقران التي تناولها كان لذيذاً جداً."

"هذا شيء رائع، إن معتقداته سوف تنشر الآن بين جميع مواطنيه سيؤمن الجميع بك وسيبشر الأخبار في كل مكان في العائلات والطرق والأحراج والأدغال وفي أي مكان ستهب إليه سيقابلوك بالترحاب، أنني سعيدة جداً."

ووضعت يدها على ذراعها، وواصلت بهماسة:

"استطعت وأنت تساعدني في الوصول إلى هدي، أن تقطع شوطاً بعيداً إلى هديك أنت أيضاً، فبعد الآن، وفي كل مكان في الأمازون، سيعرف المواطنون أن اسم "كارامورو" يمثل لهم الصدق والاخلاص والمساعدة لكل محتاج."

واضطرت إلى التوقف، وشعرت بحاجة إلى الحذر وهي تتأمل مظهراته. ماذا فعلت هل تجاوزت الحدود؟ هل استطاعت الحماسة العنرايدة أن تعشي سر هذه المشاعر وهذا الحب الذي تشعر به نحوه؟ حاولت أن تنظر بعيداً، لكنها لم تستطيع، فقد كانت أحاديث المواطنين وصحكاتهم بطلاً المكان ولكنها كما في عالم وحدهما. ونورت أعصابها وهي تنتظر منه أن يكسر هذا الصمت وطعن سوء النظر على عقلها، ودفع الألم وجهها إلى الاحمرار، حين قرأت في ابتسامته البطيئة علامات الانتصار والرضى، أنه يعرف، وكان ذلك واضحاً عندما وصلت ابتسامته إلى عينيه، فقد ضحك وجهه كله وهو يأخذ يدها بين يديه ويسألها:

"وماذا عليك أنت، أعني بالنسبة إليك؟"

"هل هذا مهم لك؟"

"أريد أن أعرف إذا كنت عرفت فكرتك عني نعم هل مذكرك ما قلت لي قبل أن نغادر هاموس أنني ساكون موضع اختبار خلال هذه الرحلة. فمن يلوميني على شوقي إلى معرفته ما إذا كنت قد أصبحت مقبولة أم متهماً؟"

"أستطيع أن أقدر أشياء كثيرة نعتاز بها. أنك بلا شك صادق في تحقيق رغبتك وهي مساعدة مواطنيك، ولا أستطيع تجاهل مقدرتك في القيام بمهنتك بكفاءة. لكن اعترافى الوحيد هو ضعف ذاكرتك."

"ذاكرتي؟"

"نعم وكان من الممكن أن أعرف لك محاولات الاعراء التي نقوم بها دائماً، لو لم يكن هناك إنسان آخر، ولكني أعتقد أن هذه حقارة منك أن تحاول خيانة ثقة شخص آخر."

كانت سعيدة لأنها استطاعت أن تذكره بانير، فإنه

يستحق أن تؤلمه، تماما مثلما تشعر هي بالألم. فهي لا تستطيع أن تتحمل كلامه الحالم، وهذا الحو السحري الذي يحيطها به بحكم أنه يستطيع أن يديب قلبها هي دفته، لكنها الآن ستكون بعيدة عنه لدرجة أن يحاول أن يصل إليها. ستكون قادرة على تحمل الصمت والغربة والوحدة التي تنتظرها في الأيام القادمة.

وكان من الواضح أنه لم يفهم أنها تشير إلى دونا امز، لكنه فهم بقية الكلمات، فظهر الغضب البارد في صوته. وقال:

"يا أمسة دونيللي، لم يعد هناك شيء بقوله."

وانبعث من عينيه لهيب أزرق، وهو يستطرد:

"للمرة الثانية تلصقين بي النهم جرافا وامي أعتبر كلامك هذا اهانة لي ولاسواء وطبي جميعا، فإذا كنت تعتقدين أن عرض صداقتي عليك يتعارض مع اخلاصك وولاؤك لبراستون، فاسمحي لي أن أقدم لك اعتذاري. ولكن..."

ورفع يده ليمسحها من الاعتراض ثم أردف:

"أؤكد لك، أمسي لم أكن أعلم أن علاقتك به حبيبة إلى هذا الحد."

وحملت في وجهه مضطربة... وفي الوقت المناسب توقفت عن الاعتراض، هذا كان تصويره أنها تحب برامستون سيصون كرامتها، فببسي أن تتركه يواصل هذا التصور. وبكبرياء قاسية، رفعت رأسها متحدبة نظراته واحتاج ذلك منها إلى مجهود حبار، وهي تشمره بأنها تفقده إلى الأبد، وقالت:

"الآن وقد عرفت، أعتقد أنه يمكن أن يواصل الرحلة."

## ٩ - العودة



المشهد الأخير في الليلة الماضية . فمهد اللحظة التي أطلقت فيها كلماتها القاسية المصهرة عن الاحتقار ، امقطع جبل الود الذي كان قد بدأ ينمو بينهما خلال الأيام القليلة الماضية . ولم يوجه هو إليها أي كلمة ، ولا حتى نظرة سريعة تشعرها بوجوده .

ومرت ساعات طويلة ، كئيمة . ولم تعد تبتلع الصمت ، الذي غدا ثقب الوطأة ، مرهقا لاعصابها ، أكثر حتى من تلك اللحظات الرهيبة التي مرت عليها مع طبيب العانة الذي حاول السيطرة عليها وتحطيم أعصابها ، خلال انفرادهما في ظل الصمت العميق .

كانت تريد أن تتكلم ، أن تصرخ لكن في اللحظة التي حركت فيها شفتيها ، اذا بالقارب يستدير ليدخل أحد المحميات ولمحت على شاطئه بكل حواسها وعينها ، السفينة المتحلقة تقف بعدا بعدا ، على الشاطئ . واستراح قلبها وبذات نهاية رحلة للعذاب تعتربا ، ولأنها لم تكن تعرف الطريق ، كان ظهور السفينة مفاجأة لها ، فم يكن مستعدة هي الآن لمواجهة أفراد المعسكر وارتفعت صيحة مرحب من انقطن جوريف روبرر وهي الحال ، كان الشاطئ معج بالرحبين وصحابهم تتعالى .

ووسط الضحيج ، والانفعال والرحيب ، وبعد أن ساعدهما النجارة في النزول من القارب ، فبلسهما دونا ابير ، وقد وقعت حامدة ، منتصبة في مكانها . وصاح رامون وقد علا صوته فوق كل الاصوات المليئة بالحماسة والفضول :

"أرحوكم وقبل كل شيء ، يريد طعاما سريعا ، وبعد أن تأكل نجيب عن كل أسئلتكم ، ونسبع فضولكم ."

وبعد موجة أخرى من الترحيب والتعاسي ، استحبوا

لم يترك رئيس القبيلة ورجاله رامون وتيليا الا بعد أن أوصلوهما إلى القارب الصغير عند المهر ، وساروا معهما في طريق عبر الأدغال اختصر المسافة .

وصاح الاثنان الرعيم وقبيلته مودعين اياهم ، قبل أن يساعدهما في النزول إلى القارب وراحوا يلوحون لهما من الشاطئ ، طوال انراق رورقهما في النهر ، حتى غابا عن أبصارهم عند أحد المحميات . وانتهت مرحلة من مراحل الرحلة الشاقة .

جلست تيليا عند نهاية القارب ، وهي تضم صدوق الدواء إلى صدرها متشبثة به ، وكأنه تعويذة تحميها من شر رامون وغضبه ، راحت تحمق في ظهره العريض صامتة ، وهو يحدف عبر النهر بأقصى سرعة ممكنة . وكانت ضربات المجذاف هي خوف المياه تعبر عن قوة الغضب الكامن في نفسه . ولم تعد له بتيليا أدنى ثقة ، حتى لتبادل الحديث . وحاولت أن تناسي هذا الموقف ، بالتفكير في اللحظة التي ستندهم فيها إلى عمتها وتطلعا على اكتشافها العظيم وانتصارها الساحق ولكن حتى هذا ، المخاطر لم ينجح في استئصالها من أفكارها ، لم يستطيع أن يمحو من ذهنها المرارة التي تشعر بها منذ

مسرعين لاعداد الطعام وعندما أصبحت الساحة خالية الا منهم هم الثلاثة، تحركت امير، واندفعت وقد فحبت يديها، وأطبقتهما على كتفي رامون لنضمه الى صدرها، محتضنه اياه في شوق وثقة، بينما استدارت تينا بحدة، واثقة من أن غيرتها الشديدة انعكست على مظاهرها. ولا حظها ثبو هورا، وقد ظهر من حيث لا تدري، وأمسك بها، وأطبق عليها ذراعيه بقوة لم تستطع أن تقاومها، ولكنها محبت هي الخلاص من بديه اللتين أمسكتا حصرها بقسوه. وحركت رأسها معدا هي اللحظة المناسبة، وعندما حركت رأسها، وحدث عينيها تلقيا بعيني رامون. كان ينفخ محتضنا امير، لكن مظهرانه الحادة كانت تراقب لقاءها براسيون، وتلاحظ رد فعلها راء حرارة اندفاعه. وبدأت اعصابها تهذا.

"ثبو... أليس رائعا أن نلحق مرة أخرى هل اشتعلت الي؟"  
"طبعاً، لقد اعتقدتكم محبون... والحقيقة التي يجب أن أمارحك بها، أما لو كنا نعرف طريق القرية التي ذهب إليها، لكنا خرجنا للبحث عنك."

ونظر الى امير وقال

"أليس كذلك يا أسة امير؟"

فتها لكب نظرات دوبا امير المشحونة بالكراهية على وجه تينا، وقالت:

"هذا صحيح."

ثم استدارت بتعبير آخر، كله انحاء، الى رامون وقالت:  
"أنت لا تعرف مقدار القلق والألم لدي شعرت بهما عندما عرفت أنك رحلت دون أن تأخذي معك. طبعاً، أنا متأكدة أن هذه هي فكرة الأسة دوسلي فالمرأة الانكليزية هي الوحيدة القادرة على البقاء ثلاثة أيام بياليها وسط الأدغال مع

رجل هو قبل كل شيء غريب عنها."  
واشتعل غضب تينا ووصل الى درجة الغليان، لكن اندفاعها للرد العنيف أوقفه هذا الغضب الذي ارتسم على وجه رامون، وهو يواحيها:

"امير هذه الملاحظة غير حقيقية، وغير عادلة على الإطلاق. ذهبا الى الأدغال للعمل ولن أدكرك بأن وطيفة الأسة دوسلي دفقة جدا وتحتاج الى مجهود شاق لا يسمح بنضج الوقت. ان هدفها الرئيسي هو مساعدة البشرية للتغلب على الآمها. وقد نجحت في ذلك، ولهذا فإن أي شك يجب ألا يقوم في مثل هذه الظروف، وأصرح عليك أن مكفي عن مثل هذه التلميحات، وعن الخوص في حديث حول هذا الموضوع مرة أخرى هل فهمت؟"

واضطربت امير، فلم تكن ترغب اطلاقا في إثارة غضبه. ولم يمحها دفاعه السريع وأمعاء كل هذه اسطوله على الفهم التي أصبحت مدخل بالنسة اليها في الواقع غريما خطيرا. وأرعب اهذابها السوداء الطويلة على عينيها، وسعلت العرارة التي غمرت قلبها مسب كلامه. وكاتب تينا بنظر اليها وقد أفعمت مشاعرها عصا وقسوه.

قالت انيو معدرة وعد تعالكت أعصابها

"أسة دوسلي أرجو أن تقبلي اعتداري. يبدو أن دعائتي لم تكن في محلها."

وأومأت تينا برأسها معبرة عن قبولها الاعتذار. وخلال العشاء، انهال عليها سبل الاسئلة من كل جانب، وكان الفضولون لا يتركون صغيرة ولا كبيرة الا سألوا عنها. كل التفاصيل استفسروا عنها. وشعر الجميع بالهحر والاعجاب وهم يشبعون فضولهم حول هذه الرحلة الساجحة.

وأشبع الجميع قصولهم، وبدأوا يتفرقون وهم يتحدثون فيما بينهم عن هذه المغامرة. وشعرت تينا بالضيق عندما غادر آخر رجل الساحة الواسعة، تاركا أياها وحيدة مع براستون. وكانت منذ لحظات قليلة لاحظت أن رامون اصطحب دونا ابنز ليوصلها إلى غرفة نومها وهنا شعرت تينا بموجة من الخوف تغطي عليها وكانت في شوق شديد إلى اليوم المربع، فادارت عينيها اللتين أغمضهما الأرهاق هي اتجاه ثيو، الذي قال:

"تعالى نتحول قليلا حول المعسكر قبل النوم يا لعيتي، هناك أشياء كثيرة يجب أن نفعلها، وكلام أكثر يجب أن نسمعه."  
ثيو، أما أسفة جدا. أرحو أن تنتظر حتى الصباح هاسي متعبة."

"لا بأس يا حبيبتي.. ولكن ما أريد أن أقوله لك مهم جدا، ولن يأخذ من وقتك سوى دقائق قليلة."  
حسنًا، ولكن بسرعة."

ولم تستطع أن ترى تعبير وجهه هي صوء القمر، ولكنها شعرت به يطلق زفرة ارتياح وهو يقودها في اتحاد العانة. وتبعته دون تدمير كانت تشعر في قرارة نفسها بالشكر لـ لانه لم يختار شاطئ النهر مكانا للقاء، هناك حيث ذكرمانها المؤلمة ولكن عندما حاول أن يتحاور الصف الأول من أشجار الغابة، متوغلا بها إلى الداخل، اعترضت قائلة:

"أن هذا المكان بعيد بما فيه الكفاية. والآن أحسري بها تريد."

ومظرت إليه، محاولة أن تحترق هذا العموص الكتيب الذي يحيط به، وشعرت بالخوف يتسلل إليها عندما رفض أن يجيب عن سؤالها. كان الصمت متحوبا بالخبت. صمت له معنى بعث الرعب في أطرافها، ودفعها إلى القول:

"ثيو.. لماذا لا ترد؟"

وعندما امتدت يداها ليحدها بقسوة اكتشفت غباءها وأحدث تلوم نفسها، ولكن بعد هوات الأوان. فقد صمم ثيو على أن ينال ما يريد ودارت معركة طاحنة بين الطرفين حاولت خلالها تينا أن تبعد ثيو لكنها ما لبثت أن سقطت أرضاً وغابت عن الوعي.

وحاولت أن تتنفس معق، نفسا عميقا من خلال شهتها الرقبتيين المتألمتين، وكأنها تسمع أصواتا آتية من بعد. سمعت صوت حركة عبيقة وسقوط رأس واصطدامها بالأرض. وحملت بعينيها المدهولتين، ولم يستطع عقلها أن يدرك ما حدث، أن يسوعب هذا المشهد الذي مأخذ مكانا أمامها.. كان ثيو ممددا، نصف واع، نحاسها مبيما وقف رامون فعاس مستعدا لمأظرا إليه، حتى خلال هذا الضباب الذي بدور في رأسها، كانت تينا خائفة من العراك الوحشي الذي يمكن أن يمشب، والذي كان واصحا من الطريقة التي وقف فيها رامون منأهب العضة بقوة، وكأنه يشاق إلى الانحمام، مسظرا حركة من براستون.

وتناست تينا الأمها وهي تنظر إليه، مدهولة من هذا النفس الجامع الذي يجتاحه، والذي لم يحاول أن يمدل مجهودا هي أحفائه، والسيطرة عليه. ولم يكن هناك شك في رضائه التام وهو ينظر متوقعا في صمت إلى ثيو راغما هي أن يراه واقفا على قدميه، ومستعدا بكل وضوح لأن يمارس معه كل قوانين العانة القديمة، قوانين الأدغال، والقتال الدامي بلا رحمة. لقد تبدل تماما هذا الرجل الارستقراطي حديد الاسنان، وحل محله رجل مستعد تماما لأن يحارب بسرعة وضراوة على نهج القبائل البدائية الأولى.



ورأت ثيو والرحب يكاد يغلبها، أصابعه وهي تلتوى على رقبة ثيو هي اصرار، وحاولت أن تطلق صرخة لكنها لم تنجح الا هي إخافة مجموعة ضخمة من الطيور، أطلقت صرخاتها وهي تطير متعددة عن المكان، وصيحاتها تدوي في الفضاء لتردد من خراقة الموقف وخلال هذه الاحداث الدامية، خرج صوت انيز صارخة لتزيد من غضب رامون:

"رامون، لا تفعل ذلك امك ستقتله."

وامدفعت اليه، تغرس اظفارها في ظهره، وهي تتوسل اليه أن يهدأ وان يترك ثيو الذي جحطت عيناها في محجريهما، وكان ذلك الدليل الواضح على هريمته. ووقفت سنا واجهت الى رامون تهتف به:

"أرجوك، أرجوك، لا  
وارتعدت ركبتها، عندما ترك ثيو، واستدار اليها بعد أن عرف صوبها، حاولت يائسة أن تنح عن قوة لمقاوم بها هذا الاتهام العرب الذي لاح في عيونه، لكنها برغم ذلك شعرت بالسعادة، فمن الأفضل لها أن تعاني من اتهامه الطين لها، عن أن تسمح له بالحصوع لعاطفة مدمرة، قد تحطمه.

"تتوسلن الي من أحله بعد كل ما فعله، مارلت تكمين له المودة؟"

ليست حياة ثيو التي نهما، اما تريد أن تعترف بذلك، لكنها تراجع، ادركت أنه لو عرف أنها تكره ثيو، وأنها تحاهه، لأهلت أعصابه، واردادت وحشمته ورغبته في الانتقام، من أجل رامون فقط يجب ألا تعترف. وارتعدت وهي تقول:

"كان هناك سوء تفاهم، أرجوك، أرجوك اتركه.. أتوسل اليك."

وتلاشي غضبه، ورأت شفتيه ترتعدان وهو يصارع عضيه حتى يتمكن من السيطرة على أعصابه، وأدارت عينيها بعيدا عن الاتهام المركز في عيونه. وساد الصمت. لم يقطع سوى صوت تنفس ثيو الثقيل. وترك رامون رقننه، وركله مقدمه باحتقار شديد، صائحا به: انهض.

وأطاع ثيو في الحال وواجهه رامون باحمرار قذلا.

"حب أن تشكر الآسنة دوبيللي لأنها أسقذت حياتك، أعذمك من شرها كان يمكن أن يحدث لك، لكني أعذمك بشرهي أسبي بأسعي بكل جهدي حتى يكون هذه هي رحلتك الأخيرة، لن تشترك في أي بعثة علمية أخرى طوال حياتك. والآن أعرب عن وحيي، بسرعة، قبل أن أعير رأيي وأعود لأعص عليك."

ولملم ثيو نفسه، وكالصبح اختفى في الظلام.

وضرب ثيو بالارتياح بعدما انتهت المعركة الرهيبة. وكادت رهرا الراحة لتطلق من بين شفتيها وهي تحاول مبارحة المكان، غير أن رامون تحول اليها مسرعا ليقبض على كنفها وهو يطلق لعنات بلعنه الاسبابية ثم أجبرها على مواجعتها، واقترب كثيرا من أدنها، وهمس لها:

"أرجوك، أخبريني، قللي أسبي مخطيء في احساسي بشعورك بخوء. قللي وسترين ما أهمله انتقاما منه لما فعله بك."

"لا. لا تفعل شيئا."  
وشعرت به يبحمد في مكانه، وانحى برمقها بنظرانه الحادة، باحثا في وجهها الشاحب عن تعبير يكذب ما تقول. وواجهت نظراته بشجاعة، برغم صرخة الألم التي كانت تعرق قلبها، والتي كادت تغلب من بين شفتيها، لكنها استطاعت أن تستعيد قباع السرود وترسمه على وجهها لبخفي

مشاعرها الحقيقية تجاه صوته المتسائل، وبعد لحظات ثقيلة طويلة، سقطت يداها إلى جانبيه وخطا خطوة متعبدا عنها، وكان هيكله المتوتر وهو يتحرك مبتعدا يكاد يختفي عن ناظرها وراء الدموع التي ملأت عينيها. وكادت تسقط على الأرض، لم تعد تحتفل جسما ازاء الآم قلبها الذي يتمرق شوقا إليه، وخواها عليه. حتى أن صوت أبير عندما احترق الصمت شعرت ازاءه بفرحة الفريق الذي ألقى إليه بطون النجاة:

"رامون، هل تعلم؟ لقد جعلت من نفسك غيبا كبيرا معي هي منتهى العباءة!"

"كيف؟ ومن الذي جعلني غيبا؟"

"علمت أخيرا أن الآسة دوسللي خدعتك، انها ليست كما تعتقد كريستينا دوسللي المكتشفة المعروفة وانما هي اسة شقيقها، متكررة باسم عمته، وانما لم اهتم بأن أعرف السبب لكي اعتقد أنك ستهتم بذلك طبعاً، أليس كذلك يا رامون؟"

انه ثيو ولا احد غيره يمكن أن يفشي سرها، انه الوحيد الذي يعرفه. لقد كاس من العباءة والجهل بحيث أطلعته على حقيقتها، وهو لم يكن في أي وقت من الاوقات جديرا بثقتها. ووهت هي مكانها بلا حركة، وأبعدت عينيها بعيدا عن رامون الغاضب، وانتظرت رد الفعل وشعرت بالأسف لانها لم تستطع أن تثق به عندما كانت الفرصة سانحة، ولأن الظروف اضطرتها إلى خداعه، هو بالدات. والأسف الأكبر والأعمق، لأن اميز هي التي أمدته بهذه المعلومات وكشفت سرها أمامه. وشعرت بأنها على وشك الاعباء، وارتعدت تحت نظرات ابير الحافلة بالكراهية والاحتمار التي تصبها عليها، وهي تقف في عظمة تنتظر نتيجة اختصارها.

وهقدت اميز سرها. وقالت:

"رامون.. هل سمعت ما قلته لك انها ليست كريستينا دوسللي، وربما لم تضع قدمها في الأدغال من قبل، باختصار انها كاذبة، ومزيفة."

وهذا تحدث رامون، بصوت خاعم، غير متوقع:

"ابير من أين حصلت على هذه المعلومات، هل يمكن أن تخبريني؟"

"هل هذا امر مهم؟"

"نعم، اعتقد ذلك!"

"أخبرني ثيو بذلك، وهي الحقيقة أما مدهشة من سؤالك، انك تعرف انه الوحيد الذي مال ثقه الآسة فهل كنت هي حاجة إلى السؤال؟"

"هل أهم من ذلك انكما أصبحنا صديقين خلال غيابنا؟"

وظهر انشراحا على اميز، فرمته بنظرة غاضبة وقالت:

"شبه صداقه فقط، ولكن ليس إلى الدرجة التي تدعوك إلى العبرة، كما طبعاً شعر بالوحدة، والهجرة فكان طبيعيا أن يتقارب قليلاً."

"ن، أرحوك أن تبلي صديقك ان هذه المعلومات الثمينة اسي آيت لتبليها الي لم تكن مهاجأة، لقد كنت أعرفها معرفة تامة اسي لسبب غيبا، ولا جاهلا وادا كان مراسلون فصولنا ويرمد أن يعرف المصدر الذي استقبت منه معلوماتي، فأرجوك أن تخبريه أن مصدرى كان الآسة دوسللي شخصيا!"

## ١٠ - الليلة الأخيرة

جلست تينا في مقعدها، وقد اتخذت وضعاً مريحاً في السفينة المحلقة التي بدأت المرحلة الأخيرة من رحلة العوده، وكانت قد بدأت تسريح من المعاناة التي واجهتها خلال الأيام القليلة الماضية. **فيها** هي تقرب من نهاية الرحلة، وبدأت أعصابها تهذا كلما فكرت في أن الحرب التي حاصنها انتهت ولعل نهايتها كانت في اللحظة التي أعلن فيها رامور أنه يعرف حقيقة شخصيتها. حاولت تينا مراراً أن تقترب منه، أن تقدم له تفسيراً، لكنه كان يرفض الاستماع إليها. وعندما كانت تقف في مكان واحد معه، وتبدأ في الحديث، كان يعتذر برفقة ولطف باصطراحه للاسحاب لاشغاله بأمور أخرى وبالتدريج اقتبعت تينا بأنه يرفض أن يستمع إلى أي دفاع تحاول أن تبديه أمامه.

وكتيراً ما تساءلت تينا عن السبب الذي دعاه إلى الوقوف بجانبها ضد دونا امير في تلك الليلة، لكنها لم تستطيع، وأدركت أنها لن تتمكن حتى في المستقبل أن تشبع فضولها وتعرف لماذا أطلق هذه الاكذوبة الواضحة. وتذكرت تينا كيف واجهت انبر هذا الموقف: لم تكن الدهشة هي التي انطبعت على وجهها، وإنما سلسلة من المشاعر والانعكالات ولعل

أكثرها وضوحاً تعبير الشك الاكيد.

ولولا أن الاخوين بريكلنغ اقبحا حياة تينا، وحاولا أن يملأ فراغها ولا سيما بعد أن اختفى براستون عن أبطارها لولا ذلك لشعرت بالنأس والوحدة، وقد ساعدها على الاندماج في صحبتها أنها لم تكن هي حاحة إلى تبادل الحديث الكثير معها، فقد كان عدم العامهما باللغة الانكليزية سبباً في أن يكفيا منها بانتسامة أو انماءة من رأسها، تشعرهما بأنهما نوحا في تسليتها. ولم يكن غيرهما يصلح لأن تكون رفيقة له خلال هذه الفترة. هلاخوان بريكلنغ لم يعرفا أن صمنها وسكونها سمعها تلك الاحرار العميقة التي ترسم في أعماقها، وإنما تصورا أن ذلك راجع إلى عدم قدرتها على تبادل الحديث معها أما الافراد الباقون فكانوا يشعرون بكل تأكيد أن هناك شيئاً غير عادي حدث وكان كل منهم يحاول بكل طاقته أن يفهم ما حدث، وأن يفرق نفسه في العمل، وينتظر عندما يتحدث إليها أنه لا يلاحظ هذا الاسي الجامح الذي يرتسم على قفها الحزين.

لم يعد يفصلها عن مانوس المحطة النهائية في رحلتها سوى ساعات معدودة ساعات قليلة باتت تفصلها عن الحرية. وبدأت الاحاديث تهذا شيئاً فشيئاً كلما سارت السفينة في رحلتها وقد جلس أعضاء البعثة جميعاً في أماكنهم، كل منهم يناقش بينه وبين نفسه، النتائج الطيبة التي وصلوا إليها في أبحاثهم.

ويبدو أن تينا كانت قد استعرت في اليوم، عندما شعرت بمد تهرها من كنفها، واستنقظت في الحال لكنها لم يسرد وعنها كاعلا، طاقت بعينها في ما حولها وهي تشعر بأن هناك شيئاً ما ناقصاً في الجو المحيط بها، وأخذت



تفحص المكان باحثاً عن هذا النقص الذي تشعر به الى ان  
أشار لارس بريكليغ برأسه الأشقر الى الشاطئ وهو يبتسم.  
وهنا أدركت أن ما كانت تشعر به انما هو صوت هدير السفينة  
التي صمت: لقد وصلوا وارتفعت الضحكات، وتبادل الجميع  
التعاسي، وهم يسارعون في النزول الى الميناء، ولكن قبل أن  
يتحركوا هي طريقهم الى الفندق، وقف رامون على سور  
السفينة وأشار اليهم بيده طالباً منهم الانتظار، وابتسم وهو  
يخاطبهم:

"لا أريد أن أعيقكم عن التمتع بالمدينة لكي أريد أن أذكركم  
بأن الفندق يقيم هذا المساء حفلاً خاصاً للعشاء احتفالاً بما  
أرجو ألا يمسى أحدكم نفسه في الفراش المربع ويتخلف عن  
الحضور، وبما أن جميع الرجال الرسميين في المدينة تقريباً  
سوف يحضرون الحفل فأرجو أن يكون الحضور بملابس  
السهرة..."

وشعرت حيناً بالخوف، من هذه الفترة التي ما زالت باقية  
أمامها، والتي ستكون مضطرة فيها الى رؤيته ولقائه. انما لم  
تكن تريد هذه الدعوة انما تشعر بالقلق ويتوهم مزيداً من  
الأحداث، لقد تصورت انما مالت حريتها أخيراً وانما لن تشعر  
ثانية بوجوده، ولكن هاهي دي مضطرة للحلوس معه في حفل  
واحد، وسوف سيكون عشاء طويلاً وعمداً آخر تعاسيه، كل  
منظرة منها سوف تلتقي بنظراته العميقة الرخاء، وسوف تجد  
قلبي يدوب في مكانه، سيمصره الألم والاسى... يجب أن تجد  
حلاً، لماذا لا تدعي الإصابة بالصداغ معم الصداغ هو الذي  
سيخلصها من هذا المارق ولن تكون كاذبة فهي تشعر بالفعل  
بالآلم حادة في رأسها، وبأن معدتها تنتقلب لمجرد التفكير  
في الطعام.

وعندما وصلت الى الفندق، كان الصداغ قد وصل الى درجة  
لا تحتفل، وكانت غرختها في الفندق، بما تحويه من تكيف  
الهواء، والمواهد الحضراء الهادئة والفراش المريح. هي الأمل  
الذي ترجو أن تصل اليه هي هذه اللحظة. وعندما أغلقت عليها  
الباب، نظرت الى حدائها الصغير القدر، قبل أن تتمدد على  
الفراش وأغلقت عينيها طلباً للنوم. لكن النوم رهص أن  
يستحب لها، وحاولت أن تربع كل الأفكار الكئيبه من دهنها.  
لكنها، ورغم كل محاولاتها، وحدث نفسها تتودع مع أفكارها  
مسترجعة أسعد يوم من أيام حياتها، تلك الليلة الخيالية هي  
قلب غابات الأمازون ورامون يروي لها بصوته الحداب كل  
شيء عن حياته. عن أماله وأحلامه وطار بها الخيال ليتركز  
على اللحظات التي دعاها فيها الى أن تقص عليه حياتها  
وطغولتها وكل ما يحيط بها، وكيف كذبت عليه، رغبة منها  
هي أن تبعد عن نفسه أي شك في حقيقتها. ترى كيف كان  
رامون سيقبل منها الحقيقة لو أنها صارحته بها هي تلك  
اللحظات؟ هل من المعقول أنه كان يعرف أنها ليست كرسيسيا  
ذو بيلي الحقيقة، وأنه انما كان يسد رحها لمعودها الى  
الاعتراف؟ ولكن لا. وقاومت هذه العكرة بشدة. لم يكن ذلك  
معقولاً، ما هو معقول أنه كذب على امره من أين كان له أن  
يعرف السب الحقيقي، أنه حاول أن يظهر امام امير بمظهر  
الرجل الواثق من نفسه، الذي يعرف كل شيء وليس الشخص  
الذي يمكن لأحد أن يحدده، ما من رجل على الاطلاق يرضى  
لنفسه بأن يظهر هي صورة من كان عساً، ولا سيما امام المرأة  
التي ينوي أن يتزوجها.

وشعرت بالضيق من نفسها، فهي نحن الى رجل لا يكاد  
يشعر بوجودها وقررت أن تهرب من أحاسنها بأن تشعل نفسها

ماي عمل ايجابي، أن تأخذ حماما لعله يساعدنا على النوم.  
ولكن بدلا من أن يجلب لها هذا الحمام الفاخر الداهيء  
اليوم، اذ لم يكفل لها درجة من الراحة لا يمكن بعدها أن  
تطلب المزيد فأخذت تدور في غرفتها، ثم عبرت الممر لتقف  
أمام الخزانة التي تضم ثوب السهرة الوحيدة الذي أحضرته  
معه، والذي أصرت عمنها كرس على أن تأخذه في رحلتها  
مع ملابسها. كان ثوبها فاخرا جميلا، يصلح لحفلات الكوكتيل  
والسهرة.

وداهت عندما سمعت نفسها تضحك. لقد كان الصوت  
غريبا، بحيث شعرت بأنها لم تسمع هذا الصوت بمرور  
داخلها منذ مدة، أن منظر رامون مع ابيز، وطريقته في  
رعايتها ومداعبتها، وضع حجر ثقيل على قلبها، وقتل المرح  
في روحها لكنها كانت ما زالت في العشرين من عمرها، في  
عصفوان الشباب، وبدأت طبيعة هذه المرحلة الحرجة من العمر  
تعاودها. الآن ذهبت عنها الأم الصداق وذهبت معه رغبتهما  
في النوم. وإلى جانب هذا بدأ نداء غامض في أعماقها  
يحدثها لنفسه الليلة الأخيرة - ليلتها الوحيدة الباقية - في  
صحبته فستكون دحبرتها في ذكرانها إلى آخر العمر وعمرتها  
الفرحة. يجب أن تجعل هذه الليلة ليلتها الأخيرة حقا، مع  
الرجل الوحيد الذي أحبه. يجب أن تذهب وأن تترك كل شيء  
للقدر.

قبل الساعة الثامنة، وهو الموعد المحدد للعشاء، كانت تينا  
مستعدة تماما لكنها لم تستطع أن تواجه المجمعين، وتدخل  
وحدها إلى القاعة لتناول المربطاب قبل العشاء، فقد ترددت  
طويلا، ودارت حول العرفة عشرات المرات ثم سمعت طرقا  
على الباب، وصوتا يقول:

"تينا. هل أنت مستعدة؟ اسرعي ان الجميع هي امطارك."  
وبسرعة أمسكت حقيبة السهرة في يدها، وأسرعت تفتح  
باب غرفتها فوجدت فيلكس كريالي واقفا وقد أمسك في يده  
صندوقا صغيرا فيه بعض الورود ولكن عندما مد يده بحزمة  
اليها مقدما الباقة، تدلى فمه من الدهشة وحتى الكلمات التي  
كان قد أعدها لحبيبها وبرحب بها، ابتلعها وسط دهشة  
مبمما وقفت تينا صامتة حتى تشدد دهشته وأجست بالرصى  
الآن، فقد تأكدت أن تأثيرها سيكون كما تريد تماما، ولم  
تشعر بالقلق للدهشة التي أصابت فيلكس، فمن الطبيعي أن  
يحدث له هذا وقد اعتاد أن يراها هي ملابس الرجال الحشدة،  
طوال الأسابيع العاصية. ثم بدأ يتقل بعينه من شعرها إلى  
جسمها الرشيق وثوبها الرقيق، حتى استقر على حدائها  
الدهشي، وسأله مبعدة:

"ما رأيك هل تبدو جميلة؟"

"عمرتي تينا. امك ساحرة انني أموت شوقا للنزول معك إلى  
السهرة لأري الرجال جميعا وهم يسجدون تحت قدميك."  
وكانت سعادة فيلكس لا توصف، بعد ما قابلته بهذه  
العاصفة من الدهشة والاعجاب. كان الرجال يجلسون، وهم  
يتحدثون بكسل واسترخاء، عندما شد انتباههم منظر تينا  
وهي تقف في الباب متعلقة بهواج فيلكس كريالي، وارتفعت  
صحات الاعجاب، كل بطريقة لكنها كلها كانت تعبر عن  
الدهشة المبروكة بالفرحة. وخلال حرارة اللقاء، أحالت تينا  
بنظراتها في القاعة، وعندما تأكدت أن رامون وأسر لم يظهرا  
بعد، بدأت تستريح، واندمجت تماما مع الجميع في التمتع  
بعبارات الاعجاب التي لم تكن مألوفة منهم. واستطاع  
الاعجاب أن يعيد ثقتها بنفسها إلى درجة كبيرة، حتى



أنها عندها ظهر رامون ورفيقتة، قابلت ظهورهما بأعصاب هادئة تماما، أكثر مما توقعت.

كانت انيز متألقة بثيابها الرائعة. لكن دخولها لم يحدث الاثر الذي أحدثه دخول تينا. وعندها وقعت عينها على تينا لمعتا أكثر من أي شيء آخر. فرمقتها بنظرة من أعلى رأسها الى أسفل قدميها، بغضب جعل شفتيها تنتقبضان كالخط الرفيع، قبل أن تستدير وهي تلعنها في سرها.

واردادت ثقة تينا في نفسها، واستدارت تبحث عن رامون، نظرت اليه، لكنها كادت تجري هاربة من الطرف، عندها قابلها بنظرة باردة ثم استدار بظهره اليها ليستمع بانصاه الى الحديث الذي كانت انيز تردده. وطبعي انها ابتلعت أسأها في حلقها، ولم تحاول أن تظهر الألم الذي يعصر قلبها، لكن الرجال - الذين لم يكونوا بالجهل الذي تخيله - أحاطوا بها، بتعاطف صامت وبدأوا يتنافسون في محاولات للتغلب على الحزن الذي يبدو في عينيها. بدأت أحاديثهم وتعليقاتهم المرححة تمنع أي حزن من التغلغل في أعماقها طوال العشاء والفترة التي سبقتها.

كانت تينا تراقب حلبة الرقص بعين وترقق رامون فيفاس واتيز بين الفينة والاخرى بالعين الاخرى. عندما سمعت صوت ثيو يفتح:

"أخيرا... وصلت اليك. تعالي أريد أن أرقص معك."

كان يترنح حتى وهو يتحدث. وجذبت تينا نفسها بعيدا وقالت باحتقار:

"لكنني لا أريد أن أرقص معك. لا أريد حتى أن أتحدث معك. اذهب بعيدا، أرجوك وأتركني وحدي."

لكن كلامها جاء متأخرا. لقد أثاره حديثها، وكأنهما

ذكرته كلماتها بهذه المشاعر المهينة التي يعانيتها منذ هاجمه رامون. وكرجل في مثل ظروفه ومكانته، رجل يعرف أنه هزم وأنه أصبح معروفا بالجن، كان ذلك كله عذرا كافيا لتلمس معركة يسترد فيها كرامته وتصور أنه يستطيع أن يستميل تينا، ويستبعد مكانته عندها، ببعض الكلمات الهادئة ولكن نظرة الاحتقار التي حدجته بها، واعتراضها الحاد على الرقص معه، حوله فجأة الى وحش كاسر فجذبها بعنف الى حلبة الرقص، وقبض بشدة على جسدها بين يديه... ولم تستطع أن تفعل شيئا، اكتفت بأن أخذت ترسل بنظراتها الى المنضدة التي يجلس اليها الرجال، في طلب النجدة، وهم لا يعرفون بما حدث لها، إذ كان بعض الغرباء يفصلون بينها وبينهم، فلم يتمكن أحد من رؤيتها، فلم تجد أمامها من سبيل غير أن تضغط على شفتيها بقوة حتى لا تنطلق منها صرخة. ولكنهما لم يرقصا أكثر من خطوتين، عندما سمعت صوتا ثلجيا غير متوقع يتجه الى ثيو:

"برانستون، سأخذ مكانك، الانسة دونيللي ستكمل هذه الرقصة معي."

ولم تستطع تينا أن تفهم أبدا كيف حدث هذا، لكن في لحظة خاطفة وجد ثيو نفسه محاصرا بمجموعة من الرجال الفاضلين، قرروا أن يخلصوها من صحبتة. ولم يشعر بنفسه الا وهو ينسحب، قبل أن يرد أو يشعر أحد من الراقصين بما حدث!

اقتاد رامون تينا الى ركن منعزل في حلبة الرقص وقال:  
"هل يجب أن تلعبى بالقار دائما؟ ألم تتعلمي بعد أن برانستون ليس هو بالرجل الجدير بالثقة؟"  
ورفعت رأسها اليه: هل يتصور أنها هي التي تبحث



عن صحبة برانستون لقد ظهر منها بوضوح أنها لم تكن تريد أكثر من أن تباعد عنه . أنها تحتقره . وتخاف منه ، وفتحت فمها لتعترض على تصوراتها لكن كلماتها ماتت على شفثتها عندما التقت عينها بعينه ، ورأت هذا الغضب المتفجر ، أنها لم تره أبدا من قبل في مثل هذا الغضب .

وانتهت الموسيقى فجأة ، بمعزوفة جميلة وكالمخدرة ، لم تبد أي استعداد للمقاومة عندما قادها باصرار عبر باب النافذة الفرنسية في طريقه الى الحدائق الخالية . ولم يتوقف حتى أصبحا بعيدين عن الفندق ، ولم تعد الموسيقى تسمع الا من بعيد . وفي الظلام ، وبين الاشجار الكثيفة التي تصنع دغلا أسود لا تظهر فيه غير البسترة البيضاء التي يرتديها ، وقف بأنفاس متقطعة في انتظار غضبه الجامح أن يندلع . ولم تنتظر طويلا ، فقد قال لها أمراء بصوت مخاض:

«أعتقد أنك تعرفين الآن النتائج السيئة لتصرفاتك الحمقاء . يجب أن تنصرفي بحكمة أكثر ، وأن تتجني أعراء كل رجل يقابلك . تعبت من المحاولات الدائمة لانقاذك من المأزق الحرجة التي توقعين نفسك فيها ، ولا تستطيعين النجاة منها . واقترح عليك ، أن تتركي فن الانعراء للنساء الأكبر سنا اللواتي يستطعن كبح جماح العاطفة في الوقت المناسب .»  
«أمراء؟ ولكن أنا لم أكن . . . أوه كيف تجرؤ؟»

ووقفت على أطراف أصابعها ، لا تجد كلاما تعبر به لتقول أن تصرفات الرجال هذا المساء كانت تحمل رقة طبيعية . كانت متأكدة من أن اتهاماته لها ليست الا نوعا من الانتقام من الاتهام المماثل الذي سبق لها ووجهته اليه . وعندما أدركت ذلك هدأت قليلا ، وهي تستطرد:

«ان اشاراتك لها مغزى عميق يا سيد . الآن استطعت أن

أفهم العلاقة القائمة بينك وبين انيز . انك تشعر بالأمان معها ، فأنت متأكد أن تصرفاتك كلها مقبولة ومفهومة ونتائجها لا خوف منها .»

وعندما انتهت من الكلام ، شعرت بالخلل فوقفت في انفعال وشوق لمعرفة رد الفعل القاسي لكلماتها الجارحة .

لكن الذي أربكها أنه أجابها برقة شديدة ، حتى أن التهكم الذي صوبه في كلماته ، لم تستطع أن تدركه الا بعد قليل:

«انيز؟ طبعا ، أوافقك على ذلك . . .»

ثم أحنى رأسه نحوها ، وأردف:

«أنها ليست طفلة تتخفى في ثياب امرأة .»

وقفزت روحها الى حلقها ، كان ظله يغمرها وانعكس الألم الذي تعانيه في الكلمات التي صدرت منها في الظلام:

«حاولت أن أخبرك لكنك لم تكن تريد أن تستمع .»

«كان يجب أن أخبريني في الغاية عندما حاولت أن أجعل الاعتراف سهلا بالنسبة اليك .»

«هل كنت تعرف حقا ، وكنت تقول الحقيقة لانيز . ولكن كيف؟»

«أنا لا أكذب أبدا . انني أترك الكذب لك ، فأنت خبيرة فيه .»

«لكنك كذبت فعلا . أخبرت انيز انني انا اطلعتك على الحقيقة ، وهذا ليس صحيحا .»

«ألا تعرفين شيئا عن هذه الكوابيس التي تهاجمك في نومك؟»

وشعرت بالحيرة ازاء هذا السؤال الغامض . وانتظر ردها صامتا ولكن عندما بادلته نظراته بنظرة حائرة بدأت عاصفة الغضب في نفسه تهدأ قليلا . وقال:

«في الليلة التي كنا فيها في قرية جواهرينجور ،



هاجمك كابوس في نومك . وقد استيقظت على صراخك ، كنت تستنجدين بأبيك ، وعندما حاولت أن أعيد اليك الهدوء ، بدأت تتحدثين عن طفولتك وخوفك من الأدغال وقلت لي كل شيء والأسباب التي دفعتك للقيام بهذه الرحلة والأسباب التي دفعتك الى خداعي .

ووقفت جامدة وتذكرت الظمائية التي غمرتها في تلك الليلة من الصوت الرقيق ، واليدين الحائيتين . كانت تتصور أنه مجرد حلم . وتذكرت القبلة التي تلقفتها على رأسها ، والتي عاشت في ذاكرتها . الآن فقط أدركت كل شيء . لقد كانت قبلته هو التي انطبعت على جبينها !

وأضاف رامون :

"من أجل هذا ، قررت أن أحترم قرارك لكنني كنت أتمنى أكثر من أي شيء آخر ، أن تخبريني بأرادتك وحرمتك بما أخبرتني به وأنت في غير وعيك . كنت أريد أن أشاركك في حمل هذا العبء وأن أساعدك في محنتك التي كنت بلا شك تعانيين منها ، ولكن ، بدلا من ذلك ، فضلت أن تغلقي الباب في وجهي بل واتهمتيني بأنني أحاول أن احتل مكان رجل غائب ."

ونظرت اليه فجأة . واستغربت نظرات الحزن هذه التي تغمر عينيه الزرقاوين ودون أن تشعر ، وبغير تفكير ، قالت وهي لا تستطيع أن تواصل التنفس :

"رامون . . لا . . لا . . لا . ."

ورفعت يدها ، لتزيح برقة هذا الألم الذي تجمع على شفتيه . وكانت لحظة مثيرة فقد وقف مكانه بلا حراك . وعندما أفاقته الى نفسها فجأة ، احمر وجهها ، وحركت يدها بعيدا ، ورد عليها بأن جذبها بين ذراعيه .

وأحست بانها يجب أن تقاوم . ولكن من أين لها

الارادة ؟ تذكرت بأن هذا الرجل سيتزوج دونا انيز ، وأنها لن يكون لها في حياته غير مجرد دور ثانوي . ولكن التحذير لم يصادف صدى في نفسها وبرغم أنه جرح قلبها فانها كانت تفكر في أن هذه هي ليلتها الأخيرة ويجب أن تستمتع بها الى آخر دقيقة . وهكذا تعلقت به ، كانت تتمنى بكل جوارحها ، لو أن العالم ينتهي قبل أن تفارقه ولكن بعد فترة قصيرة ، أبعدتها عنه ، ونظر اليها بوجه شاخب مرتعد وقال :

"يجب أن نتكلم ."

وكان يرتعد بعنف ظاهر وهي تواجهه :

"أنني لا أستحق العقاب مرة أخرى . يجب أن أعرف أين أقف بالضبط ؟ لقد تبادلنا التحديات مدة طويلة والآن يجب أن أعرف حقيقة شعورك بالنسبة لبرائستون أخيريني بصدق أرجوك يا تينا حقيقة أنني أحبك بعنف ، ولكن ذلك ليس معناه أن أناغس معه من أجلك ."

"أنت تحبني ؟"

"ولماذا - في رأيك - سمحت لك بالاشتراك في هذه الرحلة ؟ لم أكن أؤمن أبدا في هذا الذي يسعى بالحب من النظرة الاولى . لكنني منذ لاحظت أنك تحاولين اخفاء بساطتك وقلقك ، وراء محاولتك الظهور بمظهر الشخص الشديد الثقة في نفسه ، وعندما سمعتك تتحدثين بغطرسة عن موضوع كان من الواضح أنك لا تعرفين عنه أي شيء ، وحتى عندما حاولت تشويه سمعتي وتنتقصين منها ، كنت قد وقعت أسيرا لشجاعتك ، وروحك المشاغبة ، وحاولت ان أقنع نفسي بأن هذا غباء مني ، ولكن كان يجب أن أعرفك أكثر ، ولذلك تركتك تعتقدين أنك استطعت خداعي ، واحتفظ بك قريبة مني ولكن . . ."



وتغير صوته وهو يستطرد: "لقد تحولت الرحلة لتصبح  
جحيما، أعلنت عن شخصيتك الحقيقية لبرانستون، وفضلت  
صحبتك، حتى عندما كنا في يومنا الأخير عند طبيب  
الأعشاب، وعندما بدأت أشعر أنني أخيرا أستطعت الحصول  
على جزء من ثقتك، اتهمتنني بأنني أحاول احتلال مكان  
برانستون".

وصرخت تينا صرخة ألم، وهي تستنكر كلامه:

"رامون لا، حاولت فقط تذكيرك بأنني".

"انيز، وما دخل انيز بيننا؟"

"أخبرني ثيو أنها خطيبتك، وأنكما ستتزوجان بعد العودة من  
الرحلة".

وساد الصمت بينهما، وكل منهما يحاول أن يدرك سوء  
التفاهم الذي فرق بينهما... وعندما نظر رامون إلى وجه  
تينا، اندفع شعاع من الضوء يشق السحاب الأسود الذي ملا  
قلبه وطفئ على عينيه، وقفز قلبها فرحا وهو يقول بصنان:

"قررت ألا أتزوج لمرك إذا كنت تريدني".

ولم تتردد:

"أنني أكره ثيو... كرهته دائما لكنني كنت أخاف منه، كان  
يهددني وكنت أخشى أن أراك تحتقرني، أني أحبك يا رامون  
ولم أحب سواك".

وفجأة، أخذت الآلام والاحزان تذوب في فيضان من لهيب  
المشاعر الذي اجتاحهما وحولهما إلى شخص واحد. وذابت كل  
الشكوك، بعد أن انفتحت أبواب الاشواق المغلقة لتنتقل من  
عقالها، عارمة تزيع كل شيء أمامها.

وبعد فترة، رفع رأسه لينظر إلى وجهها ويسمعها تقول:

"كارامورو، أنني أحبك إلى الأبد".